

زاد المسير في علم التفسير سورة الأعراف

فصل في نزولها

روى العوفي، وابن أبي طلحة، وأبو صالح عن ابن عباس: أن سورة {الأعراف} من المكي، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد، وقتادة. وروى عن ابن عباس، وقتادة: أنها مكية إلا خمس آيات؛ أولها: قوله تعالى {وَسئَلُهُم عَن لِّقَئِيَةِ عَن لِّقَئِيَةِ} وقال مقاتل: كلها مكية، إلا قوله {وَسئَلُهُم عَن لِّقَئِيَةِ} إلى قوله {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ} فانهن مدنيات. {الْقَصْرِ}

فأما التفسير: فقوله تعالى {رَّحِيمٌ المص} قد ذكرنا في أول سورة {البقرة} كلاما مجملا في الحروف المقطعة أوائل السور، فهو يعم هذه أيضا. فأما ما يختص بهذه الآية ففيه سبعة أقوال.

أحدها: أن معناه: أنا الله أعلم وأفضل، رواه أبو الضحى عن ابن عباس. والثاني: أنه قسم: أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنها اسم من أسماء الله تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن الألف مفتاح اسمه {الله} واللام مفتاح اسمه {لطيف}، والميم مفتاح اسمه {محيّد}، والصاد مفتاح اسمه {صديق}، قاله أبو العالية. والخامس: أن المص: اسم للسورة، قاله الحسن. والسادس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والسابع: أنها بعض كلمة. ثم في تلك الكلمة قولان. أحدهما: المصور، قاله السدي. والثاني: المصير إلى كتاب أنزل إليك، ذكره الماوردي.

{كُتِبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذِكْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ} قوله تعالى: {كُتِبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ} قال الأخفش: رفع الكتاب بالابتداء. ومذهب الفراء: أن الله اكتفى في مفتاح السور ببعض حروف المعجم عن جميعها، كما يقول القائل: {ا ب ت ث} ثمانية وعشرون حرفا؛ فالمعنى: حروف المعجم: كتاب أنزلناه إليك. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يرتفع الكتاب باضمار: هذا الكتاب. وفي الحرج قولان.

أحدهما: أنه الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة. والثاني: أنه الضيق، قاله الحسن، والزجاج. وفي هاء منه قولان.

أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب؛ فعلى هذا، في معنى الكلام قولان. أحدهما: لا يضيغن صدرك بالإبلاغ، ولا تخافن، قاله الزجاج: والثاني: لا تشكن أنه من عند الله.

والقول الثاني: أنها ترجع إلى مضمير، وقد دل عليه الإنذار، وهو التكذيب، ذكره ابن الانباري. قال الفراء: فمعنى الآية: لا يضيغن صدرك إن كذبوك. قال الزجاج: وقوله تعالى: { فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ } مقدم؛ والمعنى: أنزل إليك لتنذر به، وذكرى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه. { وَذَكَرَى } يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وخفض؛ فأما النصب، فعلى قوله: { أَنْزَلَ إِلَيْكَ لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } أي: ولتذكر به ذكرى، لان في الإنذار معنى التذكير. ويجوز الرفع على أن يكون: وهو ذكرى، كقولك: وهو ذكرى للمؤمنين. فأما الخفض فعلى معنى: لتنذر، لأن معنى { لِيُنذِرَ } لأن تنذر؛ المعنى: للإنذار والذكرى، وهو في موضع خفض.

{ لِيُبْعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } قوله تعالى: { لِيُبْعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ } إن قيل: كيف خاطبه بالإفراد في الآية الأولى، ثم جمع بقوله: { لِيُبْعُوا } فعنه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أنه لما علم أن الخطاب له ولأمته، حسن الجمع لذلك المعنى. والثاني: أن الخطاب الأول خاص له؛ والثاني محمول على الإنذار، والإنذار في طريق القول، فكانه قال: لتقول لهم منذرا: { لِيُبْعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ }، ذكرهما ابن الانباري.

والثالث: أن الخطاب الثاني للمشركين، ذكره جماعة من المفسرين؛ قال: والذي أنزل إليهم القرآن. وقال الزجاج: الذي أنزل: القرآن وما أتى عن النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه مما أنزل عليه، لقوله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } { وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ } أي: لا تتولوا من عدل عن دين الحق؛ وكل من ارتضى مذهبا فهو ولي أهل المذهب. وقوله تعالى: { قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } ما: زائدة مؤكدة؛ والمعنى: قليلا تتذكرون. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم { تَذَكَّرُونَ } مشددة الذال والكاف. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم { تَذَكَّرُونَ } خفيفة الذال مشددة الكاف. قال أبو علي: من قرأ { تَذَكَّرُونَ } بالتشديد، أراد { تَذَكَّرُونَ } فأدغم التاء في الذال، وإدغامها فيها حسن، لأنها التاء مهموسة، والذال مجهورة؛ والمجهور أزيد صوتا من المهموس وأقوى؛ فادغام الأنقص في الأزيد حسن. وأما حمزة ومن وافقه، فإنهم حذفوا التاء التي أدغمها هؤلاء، وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة. وقرأ ابن عامر: { يَتَذَكَّرُونَ } بياء وتاء،

على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ والمعنى: قليلا ما يتذكر هؤلاء الذين ذكروا بهذا الخطاب.

{ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ }
قوله تعالى: { وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا } { كَمْ } تدل على الكثرة، و{ رَبِّ } موضوعه للقلة. قال الزجاج: المعنى: وكم من أهل قرية، فحذف الأهل، لأن في الكلام دليلا عليه.

وقوله تعالى: { فَجَاءَهَا بَأْسُنَا } محمول على لفظ القرية؛ والمعنى: فجاءهم بأسنا غفلة وهم غير متوقعين له؛ إما ليلا وهم نائمون، أو نهارا وهم قائلون. قال ابن قتيبة: بأسنا: عذابنا. وبياتا: ليلا. وقائلون: من القائلة نصف النهار. فان قيل: إنما أتاهم البأس قبل الإهلاك، فكيف يقدم الهلاك؟ فعنه ثلاثة أجوبة. أحدها: أن الهلاك والبأس، يقعان معا، كما تقول: أعطيتني فأحسنت؛ وليس الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله، وإنما وقعا معا، قاله الفراء.

والثاني: أن الكون مضمرة في الآية، تقديره: أهلكتناها، وكان بأسنا قد جاءها، فأضمر الكون، كما أضمر في قوله: { وَابْتَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ } أي: ما كانت الشياطين تتلوه. وقوله تعالى: { إِنْ يَسْرِقْ } أي: إن يكن سرق.

والثالث: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا بياتا، أو هم قائلون، فأهلكناها، كقوله تعالى: { إِيَّاكَ مُتَوَفِّكٌ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } أي: رافعك ومتوفيك، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: { أَوْ هُمْ قَائِلُونَ } قال الفراء: فيه واو مضمرة؛ والمعنى: فجاءها بأسنا بياتا، أو وهم قائلون، فاستثقلوا نسقا على نسق.

{ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ }
قوله تعالى: { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ } قال اللغويون: الدعوى هاهنا بمعنى الدعاء والقول. والمعنى: ما كان قولهم وتداعيهم إذ جاءهم العذاب إلا الاعتراف بالظلم. قال ابن الأنباري: وللدعوى في الكلام موضعان. أحدهما: الإدعاء. والثاني: القول والدعاء.

قال الشاعر:

إذا مذلت رجلي دعوتك أشتفي بدعواك من مذل بها فيهون
{ فَلْتَسْأَلَنَّ لِذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلْتَسْأَلَنَّ لِمُرْسَلِينَ * فَلْتَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ }

قوله تعالى: { فَلْتَسْأَلَنَّ لِذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ } يعني: الأمم يُسألون: هل بلغكم الرسل، وماذا أجبتهم؟ ويسأل الرسل: هل بلغتكم، وماذا أجبتهم؟. { فَلْتَقُصَّنَّ }

عَلَيْهِمْ { أَي: فلنخبرنهم بما عملوا بعلم منا { وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ } عن الرسل والأئمة. وقال ابن عباس: يوضع الكتاب فيتكلم بما كانوا يعملون. { وَ لَوْزْنُ يَوْمَئِذٍ لِحَقُّ } فَمَنْ تَقَلَّبَتْ مَوْزِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوْزِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ { قوله تعالى: { وَ لَوْزْنُ يَوْمَئِذٍ لِحَقُّ } أي: العدل. وإنما قال: { مَوْزِينُهُ } لأن { مِنْ } في معنى جميع، يدل عليه قوله: { فَأُولَئِكَ }. وفي معنى { يَظْلِمُونَ } قولان.

أحدهما: يجحدون. والثاني: يكفرون.

قال الفراء: والمراد بموازينه: وزنه. والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك، ووزن دارك؛ ويريدن حذاء دارك.

قال الشاعر:

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندي لكم مخاصم ميزانه

يعني: مثل كلامه ولفظه.

فصل

والقول بالميزان مشهور في الحديث، وظاهر القرآن ينطق به. وأنكرت المعتزلة ذلك، وقالوا: الأعمال أعراض، فكيف توزن؟ فالجواب: أن الوزن يرجع إلى الصحائف، بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ }، والترمذي. وروي أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: { يُؤْتَى آلَ اللَّهِ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ } فعلى هذا يوزن الإنسان. قال ابن عباس: توزن الحسنات والسيئات في ميزان، له لسان وكفتان. فأما المؤمن، فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفة الميزان، فتثقل حسناته على سيئاته، وأما الكافر، فيؤتى بعمله في أقبح صورة، فيوضع في كفة الميزان، فيخف وزنه. وقال الحسن: للميزان لسان وكفتان. وجاء في الحديث: { ءَأَنْ * دَاوُودُ * عَلَيْهِ السَّلَامُ * سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ } وقال حذيفة: جبريل صاحب الميزان يوم القيامة، فيقول له ربه: زن بينهم، ورد من بعضهم على بعض، فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة. فان لم تكن له حسنة، أخذ من سيئات المظلوم، فرد على سيئات الظالم، فيرجع وعليه مثل الجبال.

فان قيل: أليس الله يعلم مقادير الأعمال، فما الحكمة في وزنها؟ فالجواب: أن فيه خمسة حكم.

أحدها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا.
والثانية: إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى. والثالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر. والرابعة: إقامة الحجة عليهم. والخامسة: الإعلام بأن الله عادل لا يظلم. ونظير هذا أنه أثبت الاعمال في كتاب، واستنسخها من غير جواز النسيان عليه.

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ وَ لَوْ رَبِّي يَوْمَئِذٍ لَحَقُّ فَمَنْ تَقُلْتُ مَوْزِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ حَفَّيْتُ مَوْزِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ { فيه قولان.

أحدهما: مكناكم إياها. والثاني: سهلنا عليكم التصرف فيها. وفي المعاييش قولان.

أحدهما: ما تعيشون به من المطاعم والمشارب.

والثاني: ما تتوصلون به إلى المعاييش، من زراعة، وعمل، وكسب. وأكثر القراء على ترك الهمز في {مَعْيِشًا} وقد رواها خارجة عن نافع مهموزة. قال الزجاج: وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ، لأن الهمز إنما يكون في إياء الزائدة، نحو صحيفة وصحائف؛ فصحيفة من الصحف؛ وإياء زائدة، فأما معاييش، فمن العيش، فإياء أصلية.

قوله تعالى: {قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} أي: شكركم قليل. وقال ابن عباس: يريد: أنكم غير شاكرين.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ} قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} فيه ثمانية أقوال.

أحدها: ولقد {خَلَقْنَاكُمْ} في ظهر آدم، {ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} في الأرحام، رواه عبد الله بن الحارث عن ابن عباس.

والثاني: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ} في أصلاب الرجال، و{صَوَّرْنَاكُمْ} في أرحام النساء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة.

والثالث: ولقد {خَلَقْنَاكُمْ} يعني: آدم، ثم {صَوَّرْنَاكُمْ}، يعني: ذريته من بعده، رواه العوفي عن ابن عباس.

والرابع: ولقد {خَلَقْنَاكُمْ}، يعني آدم، ثم {صَوَّرْنَاكُمْ} في ظهره، قاله مجاهد.

والخامس: {خَلَقْنَاكُمْ} نطفا في أصلاب الرجال، وترائب النساء، ثم {صَوَّرْنَاكُمْ} عند اجتماع النطف في الأرحام، قاله ابن السائب.

والسادس: { خَلَقْتَكُمْ } في بطون أمهاتكم، ثم { صَوَّرْتَكُمْ } فيما بعد الخلق، بشق السمع والبصر، قاله معمر.

والسابع: { خَلَقْتَكُمْ } يعني: آدم خلقناه من تراب، ثم { صَوَّرْتَكُمْ } أي: صورناه، قاله الزجاج، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: فجعل الخلق لهم إذ كانوا منه؛ فمن قال: عني بقوله { خَلَقْتَكُمْ } آدم، فمعناه: خلقنا أصلكم؛ ومن قال: صورنا ذريته في ظهره، أراد: إخراجهم يوم الميثاق كهيئة الذر. والثامن: { وَلَقَدْ خَلَقْتَكُمْ } يعني: الأرواح، { ثُمَّ صَوَّرْتَكُمْ } يعني: الأجساد، حكاه القاضي أبو يعلى في { المعتمد }. وفي { تَتَّقُونَ ثُمَّ } المذكورة مرتين قولان.

أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله الأخفش. والثاني: أنها للترتيب، قاله الزجاج. { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ }

قوله تعالى: { مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ } ما استفهام: ومعناها: الإنكار. قال الكسائي: { لا } هاهنا زائدة. والمعنى: ما منعك أن تسجد؟ وقال الزجاج: موضع { ما } رفع. والمعنى: أي شيء منعك من السجود؟ ولا زائدة مؤكدة؛ ومثله: { لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ }. قال ابن قتيبة: وقد تزداد { لا } في الكلام. والمعنى: طرحها لإباء في الكلام، أو جحد، كهذه الآية. وإنما زاد { لا } لأنه لم يسجد. ومثله: { أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } على قراءة من فتح { أَنَّهُ }، فزاد { لا } لأنهم لم يؤمنوا؛ ومثله: { وَحَرَامٌ عَلَيَّ قَرْيَةٌ أَهْلَكْتُهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } وقال الفراء: { لا } هاهنا جحد محض، وليست بزائدة، والمنع راجع إلى تأويل القول، والتأويل: من قال لك لا تسجد؛ فأحل المنع محل القول، ودخلت بعده { ءان } ليدل على تأويل القول الذي لم يتصرح لفظه. وقال ابن جرير: في الكلام محذوف، تقديره: ما منعك من السجود، فأحوجك أن لا تسجد؟ قال الزجاج: وسؤال الله تعالى لإبليس { مَا مَنَعَكَ } توبيخ له، وليظهر أنه معاند، ولذلك لم يتب، وأتى بشيء في معنى الجواب، ولفظه غير الجواب، لأن قوله: { أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ } إنما هو جواب، أي كما خير؟ ولكن المعنى: منعتني من السجود فضلي عليه. ومثله قولك للرجل: كيف كنت؟ فيقول: أنا صالح؛ وإنما الجواب: كنت صالحا، فيجيب بما يحتاج إليه وزيادة. قال العلماء: وقع الخطأ من إبليس حين قاس مع وجود النص، وخفي عليه فضل الطين على النار؛ وفضله من وجوه.

أحدها: أن من طبع النار الطيش والالتهاب والعجلة، ومن طبع الطين الهدوء والرزانة.

والثاني: أن الطين سبب الإنبات والإيجاد، والنار سبب الإعدام والإهلاك.
والثالث: أن الطين سبب جمع الأشياء، والنار سبب تفريقها.
{ قَالَ وَ هُيْطَ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا وَ خَرَجَ إِنَّكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ }
قوله تعالى: { وَ هُيْطَ مِنْهَا } في هاء الكناية قولان.
أحدهما: أنها ترجع إلى السماء، لأنه كان فيها، قاله الحسن.
والثاني: إلى الجنة، قاله السيدي.
قوله تعالى: { فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا } إن قيل: فهل لأحد أن يتكبر في غيرها؟ فالجواب: أن المعنى: ما للمتكبر أن يكون فيها، وإنما المتكبر في غيرها. وأما الصاغر، فهو الذليل. والصغار: الذل. قال الزجاج: استكبر إبليس بابائه الإسجود، فأعلمه الله أنه صاغر بذلك.
{ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ }
قوله تعالى: { قَالَ أَنْظِرْنِي } أي: أمهلني وأخرني { إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ } فأراد أن يعبر فنطرة الموت؛ وسأل الخلود، فلم يجبه إلى ذلك، وأنظره إلى النفخة الأولى حين يموت إخلق كلهم. وقد بين مدة إمهاله في { لِحَجَرَ } بقوله: { إِلَى يَوْمٍ لَوْ قَتِ لَمَعْلُومٍ } وفي ما سأل الإمهال له قولان.
أحدهما: الموت. والثاني: العقوبة. فان قيل: كيف قيل له: { إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ } وليس أحد أنظر سواه؟ فالجواب: أن الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت بأجالهم، فهو منهم.
{ قَالَ قَبِمَا أَعُوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }
قوله تعالى: { قَبِمَا أَعُوَيْتَنِي } في معنى هذا الإغواء قولان.
أحدهما: أنه بمعنى: الإضلال، قاله ابن عباس، والجمهور.
والثاني: أنه بمعنى: الإهلاك، ومنه قوله: { فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا } أي: هلاكاً، ذكره ابن الأنباري. وفي معنى { قَبِمَا } قولان.
أحدهما: أنها بمعنى القسم، أي: فباغوائك لي.
والثاني: أنها بمعنى الجزاء، أي: فبانك أغويتني، ولأجل أنك أغويتني { لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }. قال الفراء، والزجاج: أي على صراطك. ومثله قولهم: ضرب زيد الظهر والبطن. وفي المراد بالصراط هاهنا ثلاثة أقوال.
أحدها: أنه طريق مكة، قاله ابن مسعود، والحسن، وسعيد بن جبير؛ كان المراد صدهم عن الحج.
والثاني: أنه الأسلام، قاله جابر بن عبد الله، وابن الحنفية، ومقاتل.
والثالث: أنه الحق، قاله مجاهد.

{ثُمَّ لَاتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}

قوله تعالى: {ثُمَّ لَاتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} فيه سبعة أقوال.

أحدها: {مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} أشككهم في آخرتهم، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} أرغبهم في دنياهم، {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} أي: من قبل حسناتهم، {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} من قبل سيئاتهم، قاله ابن عباس.

والثاني: مثله، إلا أنهم جعلوا {مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} الدنيا، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} الآخرة، قاله النخعي، والحكم بن عتيبة.

والثالث: مثل الثاني، إلا أنهم جعلوا {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} من قبل الحق أصدهم عنه، {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} من قبل الباطل أرددهم إليه، قاله مجاهد، والسدي.

والرابع: {مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} من سبيل الحق، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} من سبيل الباطل {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} من قبل آخرتهم، {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} من أمر الدنيا، قاله أبو صالح.

والخامس: {مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} من حيث يبصرون. {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} من حيث لا يبصرون، نقل عن مجاهد أيضا.

والسادس: أن المعنى لأتصرفن لهم في الإضلال من جميع جهاتهم، قاله الزجاج، وأبو سليمان الدمشقي. فعلى هذا، يكون ذكر هذه الجهات، للمبالغة في التأكيد.

والسابع: {مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} فيما بقي من أعمارهم، فلا يقدمون فيه على طاعة، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} فيما مضى من أعمارهم، فلا يتوبون فيه من معصية،

{وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} من قبل الغنى، فلا ينفقونه في مشكور، {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} من قبل الفقر، فلا يمتنعون فيه من محذور، قاله الماوردي.

قوله تعالى: {وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} فيه قولان. أحدهما: موحدين، قاله ابن عباس.

والثاني: شاكرين لنعمتك، قاله مقاتل. فان قيل: من أين علم إبليس ذلك؟ فقد أسلفنا الجواب عنه في سورة النساء.

{قَالَ خُذْ مِنْهَا مَدَّةً وَوَمَا مَذْجُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}

قوله تعالى: {قَالَ وَ خُذْ مِنْهَا} قرأ الأعمش: {مذوما} بضم الذا من غير همز. قال الفراء: {الذام}: الذم، يقال: ذامت الرجل، أذامه ذاما؛ وذمته،

أذمه ذما، وذمته، أذيمه ذيما، ويقال: رجل مذؤوم، ومذموم، ومذيم، بمعنى:
قال حسان بن ثابت:
واقاموا حتى أبيروا جميعا في مقام وكلهم مذؤوم

قال ابن قتيبة: المذؤوم: المذموم بأبلغ الذم. والمدحور: المقصى المبعد.
وقال الزجاج: معنى المذؤوم: كمعنى المذموم، والمدحور: المبعد من رحمة
الله. واللام من {رَبِّكَ لَأْمَلَانَ} لام القسم؛ والكلام بمعنى الشرط والجزاء،
كأنه قيل له: من تبعك، أعذبه، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد. فلام {لَأْمَلَانَ}
هي لام القسم، ولام {لَمَنْ تَبِعَكَ} توطئة لها. فأما قوله: {مِنْهُمْ} فقال ابن
الانباري: الهاء والميم عائدتان على ولد آدم، لانه حين قال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ
صَوَّرْنَاكُمْ} كان مخاطبا لولد آدم، فرجع إليهم، فقال: {لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ}
فجعلهم غائبين، لأن مخاطبتهم في ذا الموضوع توقع لبسا، والعرب ترجع من
الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب. ومن قال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ
صَوَّرْنَاكُمْ} خطاب لآدم، قال أعاد الهاء والميم على ولده، لأن ذكره يكفي من
ذكرهم؛ والعرب تكتفي بذكر الوالد من ذكر الأولاد إذا انكشف المعنى وزال
اللبس. قال الشاعر:
أرى الخطفى بذ الفرزدق شعره ولكن خيرا من كليب مجاشع

أراد: أرى ابن الخطفى، فاكتفى بالخطفى من ابنه.

قوله تعالى: {لَأْمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ} يعني: أولاد آدم المخالفين وقرناءهم من
الشياطين.

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا
تَهَاكَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}
قوله تعالى: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ} قيل: إن الوسوسة: إخفاء الصوت،
قال ابن فارس: الوسواس: صوت الحلي، ومنه وسواس الشيطان. و{لَهُمَا}
بمعنى {إليهما}، {الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا} أي: ليظهر لهما {فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا}
{أَي: ستر. وقيل: إن لام {لِيُبْدِيَ} لام العاقبة؛ وذلك أن عاقبة الوسوسة
أدت إلى ظهور عورتهم، ولم تكن الوسوسة لظهورها.

قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ} قال الأخفش، والزجاج: معناه: ما نهاكما
الإكراهة أن تكونا ملكين. وقال ابن الانباري: المعنى: إلا أن لا تكونا، فاكتفى
{بِأَنَّ} من {لا} فأسقطها. فان قيل: كيف انقاد آدم لإبليس، مستشرفا إلى
أن يكون ملكا، وقد شاهد الملائكة ساجدة له؟ فعنه جوابان.

أحدهما: أنه عرف قريهم من الله، واجتماع أكثرهم حول عرشه، فاستشرف لذلك، قاله ابن الأنباري.

والثاني: أن المعنى: إلا أن تكونا طويلي العمر مع الملائكة {أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} لا تموتان أبدا، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد روى يعلى بن حكيم عن ابن كثير: {أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ} بكسر اللام، وهي قراءة الزهري. {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ} * فَذَلَّهُمَا يَعْزُورِ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ يَدَّتْ لَهُمَا سَوَاءٌ تَهُمَا وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ هُيْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}

قوله تعالى: {وَقَاسَمَهُمَا} قال الزجاج: حلف لهما فدلاهما في المعصية بأن غرهما.

قال ابن عباس: غرهما باليمين، وكان آدم لا يظن أن أحدا يحلف بالله كاذبا. قوله تعالى: {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ} أي: فلما ذاقا ثمر الشجرة. قال الزجاج: وهذا يدل على أنهما ذاقاها ذواقا، ولم يبالغا في الأكل. والسوأة: كناية. عن الفرج، لا أصل له في تسميته. ومعنى: {طَفِقًا} أخذا في الفعل؛ والأكثر: طَفِقَ يَطْفِقُ، وقد رويت: طَفِقَ يَطْفِقُ، بكسر الفاء ومعنى {وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ} {يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قيل للذي يرقع النعل: خصاف. وفي الآية دليل على أن إظهار السوأة قبيح من لدن آدم؛ ألا ترى إلى قوله: {لِيُبَيِّنَ لَهُمَا مَا وَوَرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا} فانهما بادرا يستتران لقبح التكشف. وقيل: إنما سميت السوأة سوأة لأن كشفها يسوء صاحبها. قال وهب بن منبه: كان لباسهما نورا على فروجهما، لا يرى أحدهما عورة الآخر؛ فلما أصابا الخطيئة، بدت لهما سوءاتهما. وقرأ الحسن: سوأتها على التوحيد وكذلك قرأ سخصفان بكسر الياء والخاء مع تشديد الصاد. وقرأ الزهري: بضم الياء وفتح الخاء مع تشديد الصاد. وفي الورق قولان.

أحدهما: ورق التين، قاله ابن عباس.

والثاني: ورق الموز، ذكره المفسرون. وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ} يعني: الأرض. واختلف القراء في تاء {تُخْرَجُونَ}، فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بضم التاء وفتح الراء، هاهنا؛ وفي {الرُّومِ} {وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}.

وفي {الزخرف} {كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} . وفي الجاثية {لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا} .
وقرأهن حمزة، والكسائي: بفتح التاء وضم الراء. وفتح ابن عامر التاء في
{الْأَعْرَافِ} فقط. فأما التي في {الرُّومُ} {إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} وفي {سَأَلَ
سَائِلٌ} {يَوْمَ يَخْرُجُونَ} فمفتوحتان من غير خلاف.
{يَبْنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ
خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ}
قوله تعالى: {تُخْرَجُونَ يَبْنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا} سبب نزولها: أن
ناسا من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد.
وقيل: إنه لما ذكر عري آدم، من علينا باللباس. وفي معنى: {أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ}
ثلاثة اقوال.

أحدها: خلقنا لكم. والثاني: ألهمناكم كيفية صنعه. والثالث: أنزلنا المطر الذي
هو سبب نبات ما يتخذ لباسا. وأكثر القراء قرؤوا: {وَرِيشًا} . وقرأ ابن عباس،
والحسن وزر بن حبيش، وقتادة، والمفضل، وأبان عن عاصم: {وريشا}
بألف. قال الفراء: يجوز أن تكون الرياش جمع الريش، ويجوز أن تكون بمعنى
الريش كما قالوا: لبس، ولباس.
قال الشاعر:

فلما كشفن اللبس عنه مسحنه بأطراف طفل زان غيلا موشما

قال ابن عباس، ومجاهد: الرياش: المال؛ وقال عطاء: المال والنعيم. وقال
ابن زيد الريش: الجمال؛ وقال معبد الجهني: الريش: الرزق؛ وقال ابن قتيبة:
الريش والرياش: ما ظهر من اللباس. وقال الزجاج: الريش: اللباس وكل ما
ستر الإنسان في جسمه ومعيشته. يقال: تريش فلان، أي: صار له ما يعيش
به. أنشد سيبويه:

رياشي منكم وهواي معكم وإن كانت زيارتكم لماما

وعلى قول الأكثرين: الريش والرياش بمعنى. قال قطرب: الريش والرياش
واحد. وقال سفيان الثوري: الريش: المال، والرياش: الثياب.
قوله تعالى: {وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم،
وحمزة: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى} بالرفع. وقرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي: بنصب
اللباس. قال الزجاج: من نصب اللباس، عطف به على الريش؛ ومن رفعه،
فيجوز أن يكون مبتدأ، ويجوز أن يكون مرفوعا باضمار: هو؛ المعنى: وهو

لباس التقوى، أي: وستر العورة لباس المتقين. وللمفسرين في لباس التقوى عشرة أقوال.
أحدها: أنه السمت الحسن، قاله عثمان بن عفان؛ ورواه الذيال بن عمرو عن ابن عباس.

والثاني: العمل الصالح، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: الإيمان، قاله قتادة، وابن جريح، والسدي. فعلى هذا، سمي لباس التقوى، لأنه يقي العذاب.

والرابع: خشية الله تعالى، قاله عروة بن الزبير.

والخامس: الحياء، قاله معبد الجهني، وابن الانباري.

والسادس: ستر العورة للصلاة، قاله ابن زيد.

والسابع: انه الدرع، وسائر آلات الحرب، قاله زيد بن علي.

والثامن: العفاف، قاله ابن السائب.

والتاسع: أنه ما يتقى به الحر والبرد، قاله ابن بحر.

والعاشر: أن المعنى: ما يلبسه المتقون في الآخرة، خير مما يلبسه أهل الدنيا، رواه عثمان ابن عطاء عن أبيه.

قوله تعالى: {ذَلِكَ خَيْرٌ} قال ابن قتيبة: المعنى ولباس التقوى خير من الثياب، لأن الفاجر، وإن كان حسن الثوب، فهو بادي العورة؛ و{ذَلِكَ} زائدة. قال الشاعر في هذا المعنى:

إني كأي أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط القوم عربانا

قال ابن الانباري: ويقال لباس التقوى، هو اللباس الأول، وإنما أعاده لما أخبر

عنه بأنه خير من التعري، إذ كانوا يتعبدون في الجاهلية بالتعري في الطواف.

قوله تعالى: {ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} قال مقاتل: يعني: الثياب والمال من آيات الله وصنعه، لكي يذكروا، فيعتبروا في صنعه.

{يَتَذَكَّرُونَ} لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما

لباسهما ليريهما سيؤءتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا

الشيطان أولياء للذين لا يؤمنون {

قوله تعالى: {يَذَكَّرُونَ} يبين آدم لا يفتنكم الشيطان { قال المفسرون: هذا

الخطاب للذين كانوا يطوفون عراة، والمعنى: لا يخذعنكم ولا يضلنكم بغروره،

فيزين لكم كشف عوراتكم، كما أخرج أبويكم من الجنة بغروره. وأضيف

الإخراج ونزع اللباس إليه، لأنه السبب. وفي لباسهما أربعة أقوال.

أحدها: أنه النور، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ وقد ذكرناه عن ابن منبه.

والثاني: أنه كان كالظفر؛ فلما أكلا لم يبق عليهما منه إلا الظفر، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ وبه قال عكرمة، وابن زيد.
والثالث: أنه التقوى، قاله مجاهد.

والرابع: أنه كان من ثياب الجنة، ذكره القاضي أبو يعلى.
قوله تعالى: {لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَيْهَمَا} أي: ليري كل واحد منهما سوءاً صاحبه.
{إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ} قال مجاهد: قبيله: الجن والشياطين. قال ابن عباس: جعلهم الله يجرون من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم مساكن لهم، فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم.

قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} قال الزجاج: سلطناهم عليهم، يزيدون في غيهم. وقال أبو سليمان: جعلناهم موالين لهم.
{وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

قوله تعالى: {وَإِذَا فَعَلُوا الْفَاحِشَةَ} فيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال.
أحدها: أنهم الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة. والفاحشة: كشف العورة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وزيد بن أسلم، والسدي.
والثاني: أنهم الذين جعلوا السائبة والوصيلة والحام وتلك الفاحشة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنهم المشركون؛ والفاحشة: الشرك، قاله الحسن، وعطاء. قال الزجاج: فأعلمهم عز وجل أنه لا يأمر بالفحشاء، لأن حكمته تدل على أنه لا يفعل إلا المستحسن. والقسط: العدل. والعدل: ما استقر في النفوس أنه مستقيم لا ينكره مميز، فكيف يأمر بالفحشاء، وهي ما عظم قبحه.

{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ لُغُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}

قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} فيه أربعة أقوال.
أحدها: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد، فصلوا فيه، ولا يقولن أحدكم: أصلي في مسجدي، قاله ابن عباس، والضحاك، واختاره ابن قتيبة.
والثاني: توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة، قاله مجاهد، والسدي، وابن زيد.

والثالث: اجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالى دون غيره، قاله الربيع بن أنس.
والرابع: اقصدا المسجد في وقت كل صلاة، أمرا بالجماعة لها، ذكره الماوردي. وفي قوله: {وَلُغُوهُ} قولان.

أحدهما: أنه العبادة. والثاني: الدعاء. وفي قوله: {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} قولان.

أحدهما: مفردين له العبادة. والثاني: موحدين غير مشركين. وفي قوله: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} ثلاثة أقوال.

أحدها: كما بدأكم سعداء وأشقياء كذلك تبعثون. روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والقرظي، والسدي، ومقاتل، والفراء. والثاني: كما خلقتكم بقدرته، كذلك يعيدكم، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن زيد، والزجاج، وقال: هذا الكلام متصل بقوله: {فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ}.

والثالث: كما بدأكم لا تملكون شيئا، كذلك تعودون، ذكره الماوردي. {قَرِيبًا هَدَىٰ وَقَرِيبًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُم مُّهْتَدُونَ}

قوله تعالى: {قَرِيبًا هَدَىٰ} قال الفراء: نصب الفريق ب {تَعُودُونَ}. وقال ابن الانباري: نصب {قَرِيبًا} و {قَرِيبًا} على الحال من الضمير الذي في {تَعُودُونَ} يريد: تعودون كما ابتداء خلقكم مختلفين، بعضكم سعداء، وبعضكم أشقياء.

قوله تعالى: {حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} أي بالكلمة القديمة، والإرادة السابقة. {يَبْنِيٰٓءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}

قوله تعالى: {يَبْنِيٰٓءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ} سبب نزولها: أن ناسا من الأعراب كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تعلق على فرجها سيورا، وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: كانوا إذا حجوا فأفاضوا من منى لا يصلح لأحد منهم في دينه الذي اشترعوا أن يطوف في ثوبيه، فيلقيهما حتى يقضي طوافه، فنزلت هذه الآية. وقال الزهري: كانت العرب تطوف بالبيت عراة، إلا الخمس قريش وأحلافها، فمن جاء من غيرهم، وضع ثيابه وطاف في ثوبي أحمس، فان لم يجد من يعيره من الخمس، ألقى ثيابه وطاف عريانا، فان طاف في ثياب نفسه، جعلها حراما عليه إذا قضى الطواف، فلذلك جاءت هذه الآية. وفي هذه الزينة قولان.

أحدهما: أنها الثياب. ثم فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنه ورد في ستر العورة في الطواف، قاله ابن عباس، والحسن في جماعة. والثاني: أنه ورد في ستر العورة في الصلاة، قاله مجاهد، والزجاج. والثالث: أنه ورد في التزين بأجمل الثياب في الجمع والأعياد، ذكره الماوردي.

والثاني: أن المراد بالزينة: المشط، قاله أبو رزين.

قوله تعالى: { وَكُلُوا وَشَرِبُوا } قال ابن السائب: كان أهل الجاهلية لا يأكلون في أيام حجهم دسما، ولا ينالون من الطعام إلا قوتا، تعظيما لحجهم فنزل قوله: { وَكُلُوا وَشَرِبُوا } وفي قوله: { وَلَا تُسْرِفُوا } أربعة أقوال.

أحدها: لا تسرفوا بتحريم ما أحل لكم، قاله ابن عباس.

والثاني: لا تأكلوا حراما، فذلك الإسراف، قاله ابن زيد.

والثالث: لا تشركوا فمعنى الإسراف هاهنا: الإشراف، قاله مقاتل.

والرابع: لا تأكلوا من الحلال فوق الحاجة، قاله الزجاج.

ونقل أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، فقال: علي: قد جمع الله تعالى الطب في نصف آية من كتابنا. قال: ما هي؟ قال قوله تعالى: { وَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا } قال النصراني ولا يؤثر عن نبيكم شيء من الطب، فقال: قد جمع رسولنا علم الطب في ألفاظ يسيرة قال: وما هي؟ قال: المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعودوا كل بدن ما اعتاد فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا.

قال المصنف: هكذا نقلت هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يثبت. وقد جاءت عنه في الطب أحاديث قد ذكرت في كتاب { لِقَطِّ الْمَنَافِعِ فِي الطَّبِّ }:

{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }

قوله تعالى: { إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ } في سبب نزولها ثلاثة أقوال.

أحدها: أن المشركين عيروا المسلمين، إذ لبسوا الثياب في الطواف، وأكلوا الطيبات، فنزلت، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنهم كانوا يحرمون أشياء أحلها الله، من الزروع وغيرها، فنزلت هذه الآية. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: نزلت في طوافهم بالبيت عراة، قاله طاووس، وعطاء. وفي زينة الله قولان.

أحدهما: أنها ستر العورة، فالمعنى: من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم؟.

والثاني: أنها زينة اللباس. وفي الطيبات قولان.

أحدهما: أنها الحلال. والثاني: المستلذ. ثم في ما عني بها ثلاثة اقوال. أحدها: أنها البحائر، والسوائب، والوصائل، والحوامي التي حرموها، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أنها السمن، والألبان، واللحم، وكانوا حرموه في الإحرام، قاله ابن زيد. والثالث: الحرث، والأنعام، والألبان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ } قال ابن الأنباري: خالصة نصب على الحال من لام مضمرة، تقديرها: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، فحذفت اللام لوضوح معناها، كما تحذف العرب أشياء لا يلبس سقوطها.

قال الشاعر:

تقول ابنتي لما رأتهني شاحبا كأنك يحميك الطعام طيب

تتابع أحداث تخر من أخوتي فشيبن رأسي والخطوب تشيب

أراد: فقلت لها: الذي اكسبني ما ترين، تتابع أحداث، فحذف لانكشاف المعنى. قال المفسرون: إن المشركين شاركوا المؤمنين في الطيبات، فأكلوا ولبسوا ونكحوا، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للمؤمنين، وليس للمشركين فيها شيء. وقيل: خالصة لهم من ضرر أو إثم. وقرأ نافع: { خَالِصَةٌ } بالرفع. قال الزجاج: ورفعها على أنه خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقل لبيب؛ والمعنى: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الدنيا، خالصة يوم القيامة.

قوله تعالى: { كَذَلِكَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ } أي: هكذا نبينها.

{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَابْتِغَىٰ بَعْضُهُمْ أَلْحَقًا }
{ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }
قوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ } قرأ حمزة: { رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ }
باسكان الياء. ما ظهر منها وما بطن. فيه ستة اقوال.

أحدها: أن المراد بها: الزنا ما ظهر منه: علانيته، وما بطن: سره، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير.

والثاني: أن ما ظهر: نكاح الأمهات، وما بطن: الزنا، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال علي بن الحسين.

والثالث: أن ما ظهر: نكاح الأبناء نساء الآباء، والجمع بين الأختين، وأن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها، وما بطن: الزنا، روي عن ابن عباس أيضا.

والرابع: أن ما ظهر: الزنا، وما بطن: العزل، قاله شريح.

والخامس: أن ما ظهر: طواف الجاهلية عراة، وما بطن: الزنا، قاله مجاهد.

والسادس: أنه عام في جميع المعاصي. ثم في { مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ } قولان.

أحدهما: أن الظاهر: العلانية، والباطن: السر، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والثاني: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، والباطن: اعتقاد القلوب، قاله الماوردي.

وفي الإثم ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الذنب الذي لا يوجب الحد، قاله ابن عباس، والضحاك، والفراء.

والثاني: المعاصي كلها، قاله مجاهد.

والثالث: أنه الخمر، قاله الحسن، وعطاء. قال ابن الأنباري: انشدنا رجل في مجلس ثعلب بحضرته، وزعم أن أبا عبيدة أنشده:

نشرب الإثم بالصواع جهارا ونرى المتك بيننا مستعارا

فقال أبو العباس: لا أعرفه، ولا أعرف الإثم: الخمر، في كلام العرب. وانشدنا رجل آخر:

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول

قال أبو بكر: وما هذا البيت معروفا أيضا في شعر من يحتج بشعره، وما رأيت أحدا من أصحاب الغريب أدخل الإثم في أسماء الخمر، ولا سمتها العرب بذلك في جاهلية ولا إسلام.

فان قيل: إن الخمر تدخل تحت الإثم، فصواب، لا لأنه اسم لها.

فان قيل: كيف فصل الإثم عن الفواحش، وفي كل الفواحش إثم؟ فالجواب: أن كل فاحشة إثم، وليس كل إثم فاحشة، فكان لإثم: كل فعل مذموم؛ والفاحشة: العظيمة. فأما البغي: فقال الفراء: هو الاستطالة على الناس.

قوله تعالى: { وَأَنْ تُشْرِكُوا } قال الزجاج: موضع {ءانٍ} نصب؛ فالمعنى: حرم الفواحش، وحرم الشرك، والسلطان: الحجة.

قوله تعالى: { وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَالًا * تَعْلَمُونَ } عام في تحريم القول في الدين من غير يقين.

{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }
قوله تعالى: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ } سبب نزولها: أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم العذاب، فأنزلت، قاله مقاتل. وفي الأجل قولان.

أحدهما: أنه أجل العذاب. والثاني: أجل الحياة. قال الزجاج: الأجل: الوقت المؤقت. { فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً } المعنى: ولا أقل من ساعة. وإنما ذكر الساعة، لأنها أقل أسماء الأوقات.

{ يَبْنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ نَّعَىٰ وَاصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * }
وَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ فُتِّرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَتَالَهَمُ نَصِيبُهُمْ مِّمَّنْ لَكُتِبَ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَّا مَاتْنَا وَأَنَّا حَيُّونَ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ }

قوله تعالى: { يَسْتَقْدِمُونَ يَبْنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ } قال الزجاج: أضمر: { فأطيعوهم }. وقد سبق معنى { السجين أمّا } في سورة { البقرة } والباقي ظاهر إلى قوله: { يَتَالَهُمْ نَصِيبُهُمْ مِّنْ لِّكُتِبَ } ففي معناه سبعة أقوال.

أحدها: ما قدر لهم من خير وشر، رواه مجاهد عن ابن عباس.

والثاني: نصيبهم من الأعمال، فيجزون عليها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: ما كتب عليهم من الضلالة والهدى، قاله الحسن. وقال مجاهد، وابن جبير، من السعادة والشقاوة.

والرابع: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والأعمال، قاله الربيع، والقرظي، وابن زيد.

والخامس: ما كتب لهم من العذاب، قاله عكرمة، وأبو صالح، والسدي.

والسادس: ما أخبر الله تعالى في الكتب كلها: أنه من افتري على الله كذباً، أسود وجهه، قاله مقاتل.

والسابع: ما أخبر في الكتاب من جزائهم، نحو قوله: { فَأَنْذَرْتُمْ تَارًا تَلَطَّى } قاله الزجاج، فاذن في الكتاب خمسة أقوال.

أحدها: أنه اللوح الحفوظ.

والثاني: كتب الله كلها.

والثالث: القرآن.
والرابع: كتاب أعمالهم.
والخامس: القضاء.
قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا } فيهم ثلاثة أقوال.
أحدها: أنهم أعوان ملك الموت، قاله النخعي.
والثاني: ملك الموت وحده، قاله مقاتل.
والثالث: ملائكة العذاب يوم القيامة.
وفي قوله { يَتَوَفَّوْنَهُمْ } ثلاثة أقوال.
أحدها: يتوفونهم بالموت، قاله الأكثرون.
والثاني: يتوفونهم بالحشر إلى النار يوم القيامة، قاله الحسن.
والثالث: يتوفونهم عذاباً، كما تقول قتل فلانا بالعذاب، وإن لم يموت، قاله الزجاج.
قوله تعالى: { أَيَنْ مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَ } أي: تعبدون { مِنْ دُونِ اللَّهِ }، وهذا سؤال تبييخ وتقرير. قال مقاتل: المعنى: فليمنعوكم من النار. قال الزجاج: ومعنى: { ضَلُّوا عَنَّا } : بطلوا وذهبوا، فيعترفون عند موتهم أنهم كانوا كافرين. وقال غيره: ذلك الاعتراف يكون يوم القيامة.
{ قَالَ ذُكِرُوا بِأُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِّنْ أُمَّةٍ لَّعَنَتْ أُمَّةً لَّعَنَتْ حَتَّىٰ إِذَا لُكِّمُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأُولِيهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَأْتِيهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ }
قوله تعالى: { قَالَ ذُكِرُوا } إن الله تعالى يقول لهم ذلك بواسطة الملائكة، لأن الله تعالى لا يكلم الكفار يوم القيامة. قال ابن قتيبة: { وَفِي } بمعنى { مَعَ } .
وفي قوله: { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ } قولان.
أحدهما: مضت إلى العذاب.
والثاني: مضت في الزمان، يعني: كفار الأمم الماضية.
قوله تعالى: { كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُمَّةً لَّعَنَتْ حَتَّىٰ إِذَا لُكِّمُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأُولِيهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَأْتِيهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ }
النسب. قال ابن عباس: يلعنون من كان قبلهم. قال مقاتل: كلما دخل أهل ملة، لعنوا أهل ملتهم، فيلعن اليهودُ اليهودَ، والنصارى النصارى، والمشركون المشركين، والأتباعُ القادة، ويقولون: أنتم ألقيتُمونا هذا الملقى حين أطعناكم. وقال الزجاج: إنما تلاعنوا، لأن بعضهم ضل باتباع بعض.

قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا لَارَكُوا } قال ابن قتيبة: أي: تداركوا، فأدغمت التاء في الدال، وأدخلت الألف ليسلم السكون لما بعدها، يريد: تتابعوا فيها واجتمعوا.

قوله تعالى: { قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأُولَاهُمْ } فيه ثلاثة أقوال. أحدها: آخر أمة لأول أمة، قاله ابن عباس.

والثاني: آخر أهل الزمان لأولهم الذين شرعوا له ذلك الدين، قاله السدي. والثالث: آخرهم دخولا إلى النار، وهم الأتباع، لأولهم دخولا، وهم القادة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { هَؤُلَاءِ أَصَلُّونَا } قال ابن عباس: شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهًا.

قوله تعالى: { قَالَ لَخُلُوفُ فِي } قال الزجاج: أي: عذابا مضاعفا.

قوله تعالى: { قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ } أي عذاب مضاعف ولكن لا تعلمون.

قرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: { يَتَعَلَّمُونَ } بالياء. قال الزجاج: والمعنى: لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر. وقرأ الباقر: { تَتَعَلَّمُونَ } بالتاء، وفيها وجهان ذكرهما الزجاج.

أحدهما: لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق من العذاب.

والثاني: لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك، وقيل: إنما طلب الأتباع مضاعفة

عذاب القادة، ليكون أحد العذابين على الكفر، والثاني على إغرائهم به،

فأجيبوا: { لِكُلِّ ضِعْفٌ } أي: كما كان للقادة ذلك، فلکم عذاب بالكفر، وعذاب

بالاتباع. قوله: { فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ } فيه قولان.

أحدهما: في الكفر، نحن وأنتم فيه سواء، قاله ابن عباس.

والثاني: في تخفيف العذاب، قاله مجاهد.

{ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لَأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا لِعَذَابِ مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ }

قوله تعالى: { بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ } قال مقاتل: من الشرك والتكذيب.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ

لَجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَهَنَّمُ فِي سَمِّ لَخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ }

قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } أي: بحجنا وأعلامنا التي تدل على

توحيد الله ونبوة الأنبياء، وتكبروا عن الإيمان بها { لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ }

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: { تُفَتِّحُ }؛ بالتاء، وشددوا التاء الثانية.

وقرأ أبو عمرو { لَا تُفَتِّحُ } بالتاء خفيفة، ساكنة الفاء. وقرأ حمزة، والكسائي:

{ لَا يَفْتَحُ } بالياء مضمومة خفيفة. وقرأ اليزيدي عن اختياره: { لَا تُفَتِّحُ } بتاء

مفتوحة {أَبْوَابَ السَّمَاءِ} بنصب الباء، فكأنه أشار إلى أفعالهم. وقرأ الحسن: بياء مفتوحة، مع نصب الأبواب، كأنه يشير إلى الله عز وجل. وفي معنى الكلام أربعة أقوال.

أحدها: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، رواه الضحاك عن ابن عباس، وهو قول أبي موسى الأشعري، والسدي في آخرين، والأحاديث تشهد به. والثاني: لا تفتح لأعمالهم، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، رواه عطاء عن ابن عباس. والرابع: لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم، قاله ابن جريج، ومقاتل. وفي السماء قولان.

أحدهما: أنها السماء المعروفة، وهو المشهور.

والثاني: أن لمعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها، لأن الجنة في السماء، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: {حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} الجمل: هو الحيوان المعروف. فان قال قائل: كيف خص الجمل دون سائر الدواب، وفيها ما هو أعظم منه؟ فعنه جوابان.

أحدهما: أن ضرب المثل بالجمل يحصل المقصود؛ والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة، كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو اصغر منه، جاز، والناس يقولون: فلان لا يساوي درهما، وهذا لا يغني عنك فتيلًا، وإن كنا نجد أقل من الدرهم والفتيل.

والثاني: أن الجمل أكبر شأنًا عند العرب من سائر الدواب، فانهم يقدمونه في القوة على غيره، لأنه يوقر بحمله فينهض به دون غيره من الدواب، ولهذا عجبهم من خلق الإبل، فقال: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ آلِإِلٍ كَيْفَ خُلِقَتْ} فأثر الله ذكره على غيره لهذا المعنى.

ذكر الجوابين ابن الانباري. قال: وقد روى شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ: {حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ} بضم الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القلس الغليظ. قال المصنف: وهي قراءة أبي رزين، ومجاهد، وابن محيصن، وأبي مجلز، وابن يعمر، وأبان عن عاصم. قال وروى مجاهد عن ابن عباس: {حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ} بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها.

قلت: وهي قراءة قتادة، وقد رويت عن سعيد بن جبير، وأنه قرأ: {حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ} بضم الجيم وتسكين الميم. قلت: وهي قراءة عكرمة.

قال ابن الانباري: فالجمل يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمعنى الجمّل، ويجوز أن يكون بمعنى جملة من الجمال، قيل في جمعها: جُمَلٌ، كما قال: حُجْرَةٌ،

وُجِرَ، وَظُلِّمَ وَظُلِّمَ. وكذلك من قرأ: { لَجَمَلُ } يسوغ له أن يقول: الجُمَّلُ، بمعنى الجُمَّلِ، وأن يقول: الجُمَّلُ جمع جملة، مثل: بُسْرَةٌ وَبُسْرٌ. وأصحاب هذه القراءات يقولون: الحبل والحبال، أشبه بالإبرة والخيوط من الجمال، وروى عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه قرأ: { لَجَمَلُ } بضم الجيم والميم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضحاك، والجحدري. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: { لَجَمَلُ } بفتح الجيم، ويسكون الميم خفيفة.

قوله تعالى: { فِي سَمِّ لَخِيَاطِ } السم: في اللغة: الثقب. وفيها ثلاث لغات. فتح السين، وبها قرأ الأكثرون، وضمها، وبه قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، وطلحة بن مصرف، وكسرهما، وبه قرأ أبو عمران الجوني، وأبو نهيك، والأصمعي عن نافع. قال ابن القاسم: والخياط: المخيط، بمنزلة اللحاف والملحف، والقرام والمقرم. وقد قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو مجلز: في { سَمِّ } وقال الزجاج: الخياط: الإبرة، وسمها: ثقبها. والمعنى: أنهم لا يدخلون الجنة أبدا. قال ابن قتيبة: هذا كما يقال: لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب، ويبيض القار.

قوله تعالى: { لَخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ } أي: مثل ذلك نجزي الكافرين أنهم لا يدخلون الجنة.

{ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }

قوله تعالى: { لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ } المهاد: الفراش. وفي المراد بالغواشي ثلاثة اقوال.

أحدها: اللحف، قاله ابن عباس، والقرظي، وابن زيد. والثاني: ما يغشاهم من فوقهم من الدخان، قاله عكرمة. والثالث: غاشية فوق غاشية من النار، قاله الزجاج. قال ابن عباس: والظالمون: هاهنا الكافرون.

{ وَتَزَعَّتْ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُوبُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

قوله تعالى: { وَتَزَعَّتْ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ } فيمن عني بهذه الآية أربعة أقوال.

أحدها: أهل بدر. روى الحسن عن علي رضي الله عنه أنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: { وَتَزَعَّتْ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ }. وروى عمرو بن الشريد عن

علي أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزبير، من الذين قال الله: { وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ }.

والثاني: أنهم أهل الأحقاد من أهل الجاهلية حين أسلموا. روى كثير النواء عن أبي جعفر قال: نزلت هذه الآية في علي، وأبي بكر، وعمر، قلت لأبي جعفر: فأين غل هو؟ قال: غل الجاهلية، كان بين بني هاشم وبني تيم وبني عدي في الجاهلية شيء، فلما أسلم هؤلاء تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يسخن يده ويكمد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية.

والثالث: أنهم عشرة من الصحابة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، قاله أبو صالح.

والرابع: أنها في صفة أهل الجنة إذا دخلوها. روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه تعالى وسلم أنه قال: يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، حتى إذا هذبوا وثقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدي بمنزلة في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا وقال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة، تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله ما في قلوبهم من غل وغيره مما كان في الدنيا، ثم يدخلون إلى العين الأخرى، فيغتسلون منها فتشرق ألوانهم، وتصفوا وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم.

فأما النزاع: فهو قلع الشيء من مكانه. والغل: الحقد الكامن في الصدر.

وقال ابن قتيبة: الغل: الحسد والعداوة.

قوله تعالى: { لِحَمْدُ لِلَّهِ لِيَذِيَ هَدَانًا لِهَذَا } قال الزجاج: معناه:

هدانا لما صيرنا إلى هذا. قال ابن عباس: يعنون ما وصلوا إليه من رضوان الله وكرامته. وروى عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه قال: تستقبلهم الولدان كأنهم لؤلؤ منشور، فيطوفون بهم كاطافتهم بالحميم جاء من الغيبة، ويبشرونهم بما أعد الله لهم، ويذهبون إلى أزواجهم فيبشرونهن فيستخفن الفرح، فيقمن على أسكفة الباب، فيقلن: أنت رأيت، أنت رأيت، أنت رأيت؟ قال: فيجيء إلى منزله فينظر في أساسه، فإذا صخر من لؤلؤ، ثم يرفع بصره، فلولا أن الله ذلله لذهب بصره، ثم ينظر أسفل من ذلك، فإذا هو بالسرر الموضونة،

والفرش المرفوعة، والزرابي المبتوثة، فعند ذلك قالوا: { لِحَمْدُ لِلَّهِ لِيَذِيَ

هَدَانًا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } كلهم قرأ { وَمَا كُنَّا } باثبات

الواو، غير ابن عامر، فانه قرأ: { مَا كُنَّا * لِنَهْتَدِيَ } بغير واو، وكذلك هي في

مصاحف أهل الشام. قال أبو علي: وجه الاستغناء عن الواو، أن القصة

ملتبسة بما قبلها، فأغنى التباسها به عن حرف العطف، ومثله: {رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ}.

قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ} هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا. {وَتُودُّوا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةَ} قال الزجاج: إنما قال {تَلَكُمُ} لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكانه قيل لهم: هذه تلکم التي وعدتم بها. وجائز أن يكون هذا قيل لهم حين عاينوها قبل دخولهم إليها. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: {أورثتموها} غير مدغمة. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: {أورثتموها} مدغمة، وكذلك قرؤوا في {الزخرف} قال أبو علي: من ترك الادغام، فلتباين مخرج الحرفين، ومن أدغم فلان التاء والتاء مهموستان متقاربتان، وفي معنى {لَجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا} أربعة أقوال. أحدها: ما روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {مَا مِنْ * أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مُنْزَلٌ * فِي الْجَنَّةِ} ومنزل في النار، فأما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله: {أورثتموها بما كنتم تعملون} وقال بعضهم لما سمي الكفار أمواتا بقوله: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ}. وسمى المؤمنين أحياء بقوله: {لَتُنذِرَ * مَنْ كَانَ حَيًّا} أورث الأحياء الموتى.

والثاني: أنهم أورثوها عن الأعمال،

لأنها جعلت جزاء لأعمالهم، وثوابا عليها، إذ هي عواقبها، حكاها أبو سليمان الدمشقي.

والثالث: أن دخول الجنة برحمة الله، واقتسام الدرجات بالأعمال، فلما كان يفسر نيلها لا عن عوض، سميت ميراثا. والميراث: ما أخذته عن غير عوض. والرابع: أن معنى الميراث هاهنا: أن أمرهم يؤول إليها كما يؤول الميراث إلى الوارث.

{وَتَلَوَّا بِأَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ} قوله تعالى: {فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} أي: من العذاب؟ وهذا سؤال تقرير وتعبير. قالوا: نعم. قرأ الجمهور بفتح العين في سائر القرآن، وكان الكسائي يكسرها. قال الأخفش: هما لغتان.

قوله تعالى: {فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ} أي نادى مناد. {أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ} قرأ ابن كثير في رواية قبيل، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: {أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ} خفيفة النون ساكنة. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: {ءانٍ} بالتشديد {لَعْنَةُ اللَّهِ}.

بالنصب. قال الأخفش: { وَآيُنْ } في قوله: { أَنْ تَلِكُمْ لِحَنَّهُ } وقوله: { أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ } وقوله: { أَنْ لِحْمُدُ لِلَّهِ } و { أَنْ قَدْ وَجَدْنَا } هي أن الثقلة خفت.
قال الشاعر:

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى ويتنعل

وأنشد أيضا:

أكاشرة وأعلم أن كلانا على ما ساء صاحبه حريص

ومعناه: أنه كلانا؛ وتكون { أَنْ قَدْ وَجَدْنَا } في معنى: أي. قال ابن عباس:
والظالمون هاهنا: الكافرون.

قوله تعالى: { لِيَذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } أي: أذن المؤذن ان لعنة الله على الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وهو الإسلام. { وَيَبْغُوتَهَا عِوَجًا } مفسر في {ءالِ عِمْرَانَ} { وَهُمْ بِالْآخِرَةِ } أي: وهم بكون الآخرة كافرون. { وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمَاتٍ بِسِيمَاهُمْ وَتَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِمُ عَلَيْكُمْ لَم يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ } قوله تعالى: { وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ } أي: بين الجنة والنار حاجز، وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله: { فَصُورَ بَيْنَهُمْ سُورٌ لَهُ بَابٌ } فسمي هذا السور بالأعراف لارتفاعه. قال ابن عباس: الأعراف: هو السور الذي بين الجنة والنار، له عرف كعرف الديك. وقال أبو هريرة: الأعراف: جبال بين الجنة والنار، فهم على أعرافها، يعني: على ذراها خلقتها كخلقة عرف الديك. قال اللغويون: الأعراف عند العرب: كل ما ارتفع من الأرض وعلا؛ يقال لكل عال: عُرف، وجمعه: أعراف.

قال الشاعر:

كل كزاز لحمه نياف كالعلم الموفي على الأعراف

وقال الآخر:

ورثت بناء آباء كرام علوا بالمجد أعراف البناء

وفي أصحاب الأعراف قولان. أحدهما: أنهم من بني آدم، قاله الجمهور. وزعم مقاتل: أنهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة. وفي أعمالهم تسعة أقوال.

أحدها: أنهم قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله، وهذا مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم.
والثاني: أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تبلغ حسناتهم دخول الجنة، ولا سيئاتهم دخول النار، قاله ابن مسعود، وحذيفة، وابن عباس، وأبو هريرة، والشعبي، وقتادة.
والثالث: أنهم أولاد الزنا، رواه صالح مولى التوأمة عن ابن عباس.
والرابع: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء، قاله الحسن، ومجاهد. فعلى هذا، يكون لبثهم على الأعراف على سبيل النزهة.
والخامس: أنهم قوم رضي عنهم أبائهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم، رواه عبد الوهاب بن مجاهد عن إبراهيم.
والسادس: أنهم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم، قاله عبد العزيز بن يحيى.

والسابع: أنهم أنبياء، حكاه ابن الأنباري.

والثامن: أنهم أولاد المشركين، ذكره المنجوفي في تفسيرة.

والتاسع: أنهم قوم عملوا لله، لكنهم رأوا في عملهم، ذكره بعض العلماء.
والقول الثاني: أنهم ملائكة، قاله أبو مجلز، واعترض عليه، ف قيل: إنهم رجال فكيف تقول: ملائكة؟ فقال: إنهم ذكور وليسوا باناث. وقيل معنى قوله: {وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ} أي: على معرفة أهل الجنة من أهل النار، ذكره الزجاج، وابن الأنباري. وفيه بعد وخلاف للمفسرين.

قوله تعالى: {يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ} أي: يعرف أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار، وسيما أهل الجنة: بياض الوجوه، وسيما أهل النار: سواد الوجوه، وزرقة العيون. والسيما: العلامة. وإنما عرفوا الناس، لأنهم على مكان عال يشرفون فيه على أهل الجنة والنار. {وَتَادَا} يعني: أصحاب الأعراف {أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ} وفي قوله: {لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} قولان.

أحدهما: أنه إخبار من الله تعالى لنا أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها، قاله الجمهور.

والثاني: أنه إخبار من الله تعالى لأهل الأعراف إذا رأوا زمرة يذهب بها إلى الجنة أن هؤلاء لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها، هذا قول السدي.
{وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}

قوله تعالى: { وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ } يعني: أصحاب الأعراف. والتلقاء: جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة. وقال أبو عبيدة: تلقاء أصحاب النار أي: حيالهم. { وَتَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ }

قوله تعالى: { وَتَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ } روى أبو صالح عن ابن عباس قال: ينادون: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا عاص بن وائل، يا أمية بن خلف، يا أبي بن خلف، يا سائر رؤساء الكفار ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا المال والولد. { وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ } أي: تتعظمون عن الإيمان.

{ أَهْلُهَا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَتَّالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ } { خُلُوعًا لِّجَنَّةٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ }

قوله تعالى: { أَهْلُهَا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَتَّالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ } فيه قولان. أحدهما: أن أهل النار أقسموا أن أهل الأعراف داخلون النار معنا، وأن الله لن يدخلهم الجنة، فيقول الله لأهل النار: { أَهْلُهَا } يعني: أهل الأعراف { الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَتَّالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ } { خُلُوعًا لِّجَنَّةٍ } رواه وهب بن منبه عن ابن عباس. قال حذيفة: بينا أصحاب الأعراف هنالك، اطلع عليهم ربهم فقال لهم: { خُلُوعًا لِّجَنَّةٍ فَإِنِّي قَدْ أَلَّيْتُ لَكُمْ }.

والثاني: أن أهل الأعراف يرون في الجنة الفقراء والمساكين الذين كان الكفار يستهزؤون بهم، كسلمان، وصهيب، وخباب، فينادون الكفار: { أَهْلُهَا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ } وأنتم في الدنيا { لَا يَتَّالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ } قاله ابن السائب. فعلى هذا، ينقطع كلام أهل الأعراف عند قوله: { بِرَحْمَةٍ } ويكون الباقي من خطاب الله لأهل الجنة. وقد ذكر المفسرون في قوله: { خُلُوعًا لِّجَنَّةٍ } ثلاثة أقوال.

أحدها: أن يكون خطابا من الله لأهل الأعراف، وقد ذكرناه.
والثاني: أن يكون خطابا من الله لأهل الجنة.

والثالث: أن يكون خطابا من أهل الأعراف لأهل الجنة، ذكرهما الزجاج. فعلى هذا الوجه الأخير، يكون معنى قول أهل الأعراف لأهل الجنة { خُلُوعًا لِّجَنَّةٍ } : اعلوا إلى القصور المشرفة، وارتفعوا إلى المنازل المنيفة، لأنهم قد رأوهم في الجنة. وروى مجاهد عن عبد الله بن الحارث قال: يؤتى بأصحاب الأعراف إلى نهر يقال له: الحياة، عليه قضبان الذهب مكللة باللؤلؤ، فيغمسون فيه، فيخرجون، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، ويقال لهم: تمنوا ما شئتم، ولكم سبعون ضعفا، فهم مساكين أهل الجنة.

{ وَتَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَيَّ لِكُفْرَيْنِ } قوله تعالى: { وَتَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ } قال ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة، طمع أهل النار في الفرج بعد اليأس، فقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم. ونظر أهل الجنة إلى قرابتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم، قد اسودت وجوههم وصاروا خلقاً آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقرابتهم، فينادي الرجل أخاه: يا أخي قد احترقت فأغثني؛ فيقول: { إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَيَّ لِكُفْرَيْنِ } قال السدي: عني بقوله: { أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ } : الطعام. قال الزجاج: أعلم الله عز وجل أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب، وإن كان معذباً. { لِيَذِينَ آخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } قوله تعالى: { لِيَذِينَ آخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا } قال ابن عباس: هم المستهزون. والمعنى: أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم. وقال أبو روق: دينهم: عيدهم. وقال قتادة: { لَهْوًا وَلَعِبًا } أي: أكلا وشرابا. وقال غيره: هو ما زينه الشيطان لهم من تحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والمكاء، والتصدية، ونحو ذلك من خصال الجاهلية. قوله تعالى: { فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ } قال الزجاج: أي: نتركهم في العذاب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا. و{ مَا } نسق على { كَمَا } في موضع جر. والمعنى: وكجحدهم. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: فالיום نتركهم في النار على علم منا ترك ناس غافل كما استعملوا في الإعراض عن آياتنا وهم ذاكرون ما يستعمله من نسي وغفل. { وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } قوله تعالى: ولقد جئتهم بكتابٍ فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون. بيناه بايضاح الحق من الباطل. وقيل: فصلناه فصولاً: مرة بتعريف الحلال، ومرة بتعريف الحرام، ومرة بالوعد، ومرة بالوعيد، ومرة بحديث الأمم. وفي قوله: { عَلَىٰ عِلْمٍ } قولان. أحدهما: على علم منا بما فصلناه. والثاني: على علم منا بما يصلحكم مما أنزلناه فيه. وقرأ ابن السميع، وابن محيصن، وعاصم، والجحدري، ومعاذ القاري: { فصلناه } بضاد معجمة.

{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرْنَا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ }

قوله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ} وهو يوم القيامة {يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ} أي: تركوه {مِنْ قَبْلُ} في الدنيا {قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} أي: بالبعث بعد الموت.

قوله تعالى: {أَوْ نُرَدُّ} قال الزجاج: المعنى: أو هل نرد. وقوله: {فَنَعْمَل} منصوب على جواب الفاء للاستفهام.

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ سَوَّاهُ عَلَى عَرْشِهِ يُعْشِي لَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }

قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} اختلفوا أي يوم بدأ بالخلق على ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه يوم السبت. روى مسلم في {صحيحه} من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي، فقال: {خَلَقَ اللَّهُ * الشَّهْرَ فَلْيَضُمَّهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلِيٍّ سَفَرًا فَعِدَّةٌ مِنْهُ أَيَّامٌ آخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * أَجَلٌ لَكُمْ } وهذا اختيار محمد بن إسحاق. قال ابن الأنباري: وهذا إجماع أهل العلم.

والثاني: يوم الأحد، قاله عبد الله بن سلام، وكعب، والضحاك، ومجاهد، واختاره ابن جرير الطبري، وبه يقول أهل التوراة.

والثالث: يوم الاثنين، قاله ابن إسحاق، وبهذا يقول أهل الإنجيل. ومعنى قوله: {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} أي: في مقدار ذلك، لأن اليوم يعرف بطلوع الشمس وغروبها، ولم تكن الشمس حينئذ. قال ابن عباس: مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة، وبه قال كعب، ومجاهد، والضحاك، ولا نعلم خلافا في ذلك. ولو قال قائل: إنها كأيام الدنيا، كان قوله بعيدا من وجهين.

أحدهما: خلاف الآثار. والثاني: أن الذي يتوهمه المتوهم من الإبطاء في ستة آلاف سنة، يتوهمه في ستة أيام عند تصفح قوله: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}. فان قيل: فهلا خلقها في لحظة، فانه قادر؟ فعنه خمسة أجوبة.

أحدها: أنه أراد أن يوقع في كل يوم أمرا تستعظمه الملائكة ومن يشاهده، ذكره ابن الانباري.
والثاني: أن التثبيت في تمهيد ما خلق لآدم وذريته قبل وجوده، أبلغ في تعظيمه عند الملائكة.
والثالث: أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثبيت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قوله: { كُنْ فَيَكُونُ } .
والرابع: نه علم عباده التثبيت، فاذا تثبت من لا يزل، كان ذو الزلل أول بالتثبيت.
والخامس: أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، ابعده من أن يظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق.
قوله تعالى: { ثُمَّ سُبَّوْا عَلَىٰ لِعَرْشِ } قال الخليل بن أحمد: العرش: السرير: وكل سرير لملك يسمى عرشا، وقلما يجمع العرش إلا في اضطرار، وإعلم أن ذكر العرش مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام. قال أمية بن أبي الصلت:
مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق النا
س وسوى فوق السماء سريرا شررجا لا يناله ناظر العي ن ترى دونه
الملائك صورا
وقال كعب: إن السموات في العرش: كالقنديل معلق بين السماء والأرض.
وروى إسماعيل بن أبي خالد عن سعد الطائي قال: العرش ياقوتة حمراء.
وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية. وقد شذ قوم فقالوا:
العرش بمعنى الملك. وهذا عدول عن الحقيقة إلى التجوز، مع مخالفة الأثر؛
ألم يسمعوا قوله تعالى: { وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ لِمَاء } أتراه كان الملك على
الماء؟ وكيف يكون الملك ياقوتة حمراء؟ وبعضهم يقول: استوى بمعنى
استولى؛ ويحتج بقول الشاعر:
حتى استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

ويقول الشاعر أيضا:
هما استويا بفضلهما جميعا على عرش الملوك بغير زور

وهذا منكر عند اللغويين. قال ابن الاعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال استولى فلان على كذا،

إذا كان بعيدا عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه؛ والله عز وجل لم يزل مستوليا على الأشياء؛ والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي. ولو صحا، فلا حجة فيهما لما بينا من استيلاء من لم يكن مستوليا. نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة.

قوله تعالى: { وَهُوَ لِذِي مَدِّ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: { يُعْشَى } ساكنة الغين خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: { يُعْشَى } مفتوحة الغين مشددة؛ وكذلك قرؤوا في { الرَّعْدُ } قال الزجاج: المعنى: أن الليل يأتي على النهار فيغطيه؛ وإنما لم يقل: ويغشي النهار الليل، لأن في الكلام دليلا عليه؛ وقد قال في موضع آخر: { يُكْوَرُ لَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارَ عَلَى لَيْلٍ }. وقال أبو علي: إنما لم يقل: يغشي النهار الليل، لأنه معلوم من فحوى الكلام، كقوله: { سَيْرَائِيلَ تَقِيكُمُ لَحَرَ } وانتصب الليل والنهار، لأن كل واحد منهما مفعول به، فأما الحثيث: فهو السريع.

قوله تعالى: { وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ } قرأ الأكثرون: بالنصب فيهن، وهو على معنى: خلق السموات والشمس. وقرأ ابن عامر: { وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ } بالرفع فيهن ها هنا وفي { النَّحْلُ }، تابعه حفص في قوله تعالى: { وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ } في النحل فحسب. والرفع على الاستئناف. والمسخرات: المذلات لما يراد منهن من طلوع وأفول وسير على

حسب إرادة المدبر لهن؛
قوله تعالى: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ } لأنه خلقهم { وَالْأَمْرُ } فله أن يأمر بما يشاء.
وقيل: الأمر: القضاء.

قوله تعالى: { تَبَارَكَ اللَّهُ } فيه أربعة أقوال.

أحدها: تفاعل من البركة، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ وكذلك قال القتيبي، والزجاج. وقال أبو مالك: افتعل من البركة. وقال الحسن: تجيء البركة من قبله. وقال الفراء: تبارك من البركة؛ وهو في العربية كقولك: تقدس ربنا. والثاني: أن تبارك بمعنى تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وكذلك قال أبو العباس: تبارك ارتفع؛ والمتبارك: المرتفع.

والثالث: أن المعنى: باسمه يتبرك في كل شيء، قاله ابن الأنباري.

والرابع: أن معنى تبارك: تقدس، أي: تطهر، ذكره ابن الأنباري أيضا.

{ اٰرْعُوْا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً اِنَّهٗ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ }

قوله تعالى: { اٰرْعُوْا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا } التضرع: التذلل والخضوع، والخفية: خلاف العلانية. قال الحسن: كانوا يجتهدون في الدعاء، ولا تسمع إلا همسا.

ومن هذا حديث أبي موسى: {اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً} وفي الاعتداء المذكور هاهنا قولان.

أحدهما: أنه الاعتداء في الدعاء. ثم فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أن يدعو على المؤمنين بالشر، كالخزي واللعنة، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. والثاني: أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الانبياء، قاله أبو مجلز. والثالث: أنه الجهر في الدعاء، قاله ابن السائب.

والثاني: أنه مجاوزة المأمور به، قاله الزجاج.

{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَرُوَاهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}

قوله تعالى: {لَعَلِّمِينَ} رُوَاهُ رَبِّكُمْ تَصَرُّغًا وَخُفِيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} فيه ستة أقوال.

أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان.

والثاني: لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل.

والثالث: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة.

والرابع: لا تعصوا، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم بعد أن أصلحها بالمطر والخصب.

والخامس: لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه.

والسادس: لا تفسدوها بتكذيب الرسل بعد إصلاحها بالوحي.

وفي قوله: {وَرُوَاهُ خَوْفًا وَطَمَعًا} قولان. أحدهما: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه. والثاني: خوفاً من الرد، وطمعاً في الإجابة.

قوله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} قال الفراء: رأيت العرب

تؤنث القرية في النسب، لا يختلفون في ذلك، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو

فلانة منا قريب، من القرب والبعد، ذكروا وأنثوا، وذلك أنهم جعلوا القريب

خلفاً من المكان، كقوله: {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ} وقوله تعالى: {وَمَا

يُذْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} ولو أنث ذلك لكان صواباً. قال عروة:

عشية لا عفراء منك قريبة فتدنوا ولا عفراء منك بعيد

وقال الزجاج: إنما قيل: {قَرِيبٌ} لأن الرحمة والغفران والعفو بمعنى واحد،

وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي. وقال الأخفش: جائز أن تكون الرحمة هاهنا

في معنى المطر.

{ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا
سُفِّتَهُ لِيَبْلُغَ مَتَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ لَمَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ
لِمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }

قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ } قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن عامر،
وعاصم: { الرِّيَّاح } على الجمع. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: { الرِّيَّاح }
على التوحيد. وقد يأتي لفظ التوحيد، ويراد به الكثرة، كقولهم: كثر الدرهم في
أيدي الناس، ومثله: { إِنَّ لِلنَّاسِ لَفِي * حُسْرٍ } { 103/2 }.
قوله تعالى: { تَنْشُرًا } قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، { تَنْشُرًا } بضم النون
والشين، أرادوا جمع نشور، وهي الريح الطيبة الهبوب، تهب من كل ناحية
وجانب. قال أبو عبيدة: التَّنْشُر: المتفرقة من كل جانب. وقال أبو علي: يحتمل
أن تكون النشور بمعنى المنشر، وبمعنى المنتشر، وبمعنى الناشر؛ يقال:
أنشر الله الريح، مثل أحيائها، فنشرت، أي: حييت. والدليل على أن إنشار
الريح إحيائها قول الفقعي:
وهبت له ريح الجنوب وأحييت له ريذة يحيي المياه نسيمها

ويدل على ذلك أن الريح قد وصفت بالموت.
قال الشاعر:

إني لأرجو أن تموت الريح فأقعد اليوم وأستريح
والريذة والريذانة: الريح. وقرأ ابن عامر، وعبد الوارث، والحسن البصري:
{ تَنْشُرًا } بالنون مضمومة وسكون الشين، وهي في معنى { تَنْشُرًا } يقال:
كُنْتُ وَكُنْتُ، وَرُسُلٌ وَرُسُلٌ. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، والمفضل عن
عاصم: { تَنْشُرًا } بفتح النون وسكون الشين. قال الفراء: النشر: الريح
الطيبة اللينة التي تنشىء السحاب. وقال ابن الأنباري: النشر: المنتشرة
الواسعة الهبوب. وقال أبو علي: يحتمل التَّنْشُر أن يكون خلاف الطي، كأنها
كانت بانقطاعها كالمطوية. ويحتمل أن يكون معناها ما قاله أبو عبيدة في
النشر: أنها المتفرقة في الوجوه، ويحتمل أن يكون معناها: النشر الذي هو
الحياة، كقول الشاعر:
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجا للमित الناشر

قال:

وهذا هو الوجه. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وإبراهيم النخعي، ومسروق، ومورق
العجلي: { تَنْشُرًا } بفتح النون والشين. قال ابن القاسم: وفي النشر وجهان.

أحدهما: أن يكون جمعا للنشور، كما قالوا: عمود وعمد، وإهاب وإهب.
والثاني: أن يكون جمعا واحده ناشر، يجري مجرى قوله: غائب وغيب، وحافد
وحفد، وكل القراء نون الكلمة. وكذلك اختلافهم في { لِفُرْقَانَ } و{ التَّمَلُّ }.
هذه قراءات من قرأ بالنون. وقد قرأ آخرون بالباء، فقرأ عاصم إلا المفضل:
{ بُشْرَى } بالباء المضمومة وسكون الشين مثل فعلى: قال ابن الانباري:
وهي جمع بشيرة، وهي التي تبشر بالمطر، والأصل ضم الشين، إلا أنهم
استثقلوا الضمتين. وقرأ ابن خثيم، وابن جدلم: مثله إلا أنهما نونا الراء. وقرأ
ابو الجوزاء، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: بضم الباء والشين، وهذا على أنها
جمع بشيرة. والرحمة هاهنا: المطر؛ سماه رحمة لأنه كان بالرحمة. و{ أَقْلَتْ
{ بمعنى: حملت. قال الزجاج: جمع سحابة: السحاب. قال ابن فارس: سمي
السحاب لانسحابه في الهواء.

قوله تعالى: { ثِقَالًا } أي: الماء وقوله تعالى: { سُقْتُهُ } رد الكناية إلى لفظ
السحاب، ولفظه لفظ واحد. وفي قوله لبلد قولان.
أحدهما: إلى بلد. والثاني: لإحياء بلد. والميت: الذي لا ينبت فيه، فهو محتاج
إلى المطر. وفي قوله: { فَأَنْزَلْنَا بِهِ } ثلاثة أقوال.
أحدها: أن الكناية ترجع إلى السحاب. والثاني: إلى المطر، ذكرهما الزجاج.
والثالث: إلى البلد، ذكره ابن الانباري. فأما هاء { فَأَخْرَجْنَا بِهِ } فتحتمل
الأقوال الثلاثة.

قوله تعالى: { كَذَلِكَ نُخْرِجُ لِمَوْتَى } أي: كما أحيينا هذا البلد. وقال مجاهد:
نحيي الموتى بالمطر كما أحيينا البلد الميت به. قال ابن عباس: يرسل الله
تعالى بين النفختين مطرا كمني الرجال، فينبت الناس به في قبورهم كما نبتوا
في بطون أمهاتهم.

قوله تعالى: { لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } قال الزجاج: لعل: ترج. وإنما خوطب العباد
على ما يرجوه بعضهم من بعض؛ والمعنى: لعلكم بما بيناه لكم تستدلون على
توحيد الله، وأنه يبعث الموتى.

{ وَ لَبَدُّ لَطِيْبٌ يَخْرُجُ تَبَاثُهُ بِأَذْنِ رَبِّهِ وَ لَذِي حَبْتٌ لَا يَخْرُجُ إِلَّا تَكِدًا كَذَلِكَ
نُصَّرَفُ آيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ }

قوله تعالى: { وَ لَبَدُّ لَطِيْبٌ } يعني: الأرض الطيبة التربة { يَخْرُجُ تَبَاثُهُ } وقرأ
ابن أبي عبلة: { يَخْرُجُ } بضم الياء وكسر الراء، { تَبَاثُهُ } بنصب التاء، { وَ لَذِي
حَبْتٌ لَا يَخْرُجُ } كذلك أيضا. وقد روى ابان عن عاصم: { لَا يَخْرُجُ } بضم الياء
وكسر الراء. والمراد بالذي حبت: الأرض السبخة.

قوله تعالى: {إِلَّا تَكِيدًا} قرأ الجمهور: بفتح النون وكسر الكاف. وقرأ أبو جعفر: {تَكِيدًا} بفتح الكاف. وقرأ مجاهد، وقتادة، وابن محيصن: {تَكِيدًا} باسكان الكاف. قال أبو عبيدة: قليلا عسيرا في شدة، وأنشد:
لا تنجز الوعد إن وعدت وإن أعطيت أعطيت تافها نكدا

قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر؛ فالمؤمن إذا سمع القرآن وعقله انتفع به وبان أثره عليه، فشبهه بالبلد الطيب الذي يمرع ويخصب ويحسن أثر المطر عليه؛ وعكسه الكافر.

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ^{١١٤}
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ لَمَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ *
قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَبْلَغُكُمْ
رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {
قوله تعالى: {عُودُوا اللَّهَ} قال مقاتل: وحدوه؛ وكذلك في سائر القصص بعدها.

قوله تعالى: {مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} قرأ الكسائي: {غَيْرُهُ} بالخفض. قال أبو علي: جعل غيراً صفة ل {إِلَهٍ} على اللفظ.
قوله تعالى: {أَبْلَغُكُمْ} قرأ أبو عمرو: {أَبْلَغُكُمْ} ساكنة الباء خفيفة اللام.
وقرأ الباقر: {أَبْلَغُكُمْ} مفتوحة الباء، مشددة اللام.
قوله تعالى: {وَأَنْصَحُ لَكُمْ} يقال: نصحت له، وشكرته وشكرت له.
قوله تعالى: {وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا * تَعْلَمُونَ} أي: من مغفرته لمن تاب،
وعقوبته لمن أصر. وقال مقاتل: أعلم من نزول العذاب ما لا تعلمونه؛ وذلك أن قوم نوح لم يسمعوا بقوم عذبوا قبلهم.

{أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} * فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ {

قوله تعالى: {أَوْ عَجِبْتُمْ} قال الزجاج: هذه واو العطف، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة. وفي الذكر قولان. أحدهما: الموعظة. والثاني: البيان.

وفي قوله: {عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ} قولان. أحدهما: أن {عَلَىٰ} بمعنى {مَعَ} قاله الفراء. والثاني: أن المعنى: على لسان رجل منكم، قاله ابن قتيبة.
قوله تعالى: {قَوْمًا عَمِينَ} قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه.

{وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ لِمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أبلغكم رسالت ربي وأنا لكم ناصح أمين * أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم وادكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فادكروا آلاء الله لعلكم تفلحون * قالوا اجئنا لتعبد الله وحده وتدر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين }
قوله تعالى: {وَالِي عَادِ} المعنى: وأرسلنا إلى عاد {أخاهم هودًا} قال الزجاج: وإنما قيل: أخوهم، لأنه بشر مثلها من ولد أبيهم آدم. ويجوز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم. وقال أبو سليمان الدمشقي: وعاد قبيلة من ولد سام بن نوح؛ وإنما سماه أخاهم، لأنه كان نسيباً لهم، وهو وهم من ولد عاد بن عوص بن إرم بن سام.

قوله تعالى: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ} قال ابن قتيبة: السفاهة: الجهل. وقال الزجاج: السفاهة: خفة الحلم والرأي؛ يقال: ثوب سفيه: إذا كان خفيفاً. {وإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} فكفروا به، ظانين، لا مستيقنين. {قَالَ يَا آدَمُ قَوْمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ} هذا موضع أدب للخلق في حسن المخاطبة، فانه دفع ما سبوه به من السفاهة بنفيه فقط.

قوله تعالى: {وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} قال الضحاك: أمين على الرسالة. وقال ابن السائب: كنت فيكم أمينا قبل اليوم.
قوله تعالى: {وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ} ذكرهم النعمة حيث أهلك من كان قبلهم، وأسكنهم مساكنهم. {وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} أي: طولا وقوة.
وقال ابن عباس: كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا قال الزجاج وآلاء الله نعمه واحدها: إلى قال الشاعر:
أبيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا خون إلى

ويجوز أن يكون واحدها {إلياً} و{فأنظر إلى}.

قوله تعالى: ف {أئتنا بما تعدنا} أي: من نزول العذاب {إن كنت من الصادقين} في أن العذاب نازل بنا. وقال عطاء: في نبوتك وإرسالك إلينا. {قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أُجْدِلُونِي} في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين * فأنجيتهم ولذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآيتنا وما كانوا مؤمنين }

قوله تعالى: { قَالَ قَدْ وَقَعَ } أي: وجب عليكم من ربكم { رَجَسٌ وَعَصَبٌ } قال ابن عباس: عذاب وسخط. وقال أبو عمرو بن العلاء: الرجز؛ بالزاي، والرجس؛ بالسين: بمعنى واحد، قلبت السين زايًا.

قوله تعالى: { قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّنَ } يعني: الأصنام. وفي تسميتهم لها قولان. أحدهما: أنهم سموها آلهة. والثاني: أنهم سموها بأسماء مختلفة. والسلطان: الحجة. { فَانْتَظِرُوا } نزول العذاب { إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ } الذي يأتيكم من العذاب في تكذيبكم إياي.

{ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَادْكُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلُقَاءً مِّن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا وَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }

قوله تعالى: { وَإِلَى ثَمُودَ } قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود: لقلة مائها. قال ابن فارس: الثمد: الماء القليل الذي لا مادة له.

قوله تعالى: { هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ } في إضافتها إليه قولان. أحدهما: أن ذلك للتخصيص والتفضيل، كما يقال: بيت الله. والثاني: لأنها كانت بتكوينه من غير سبب.

قوله تعالى: { لَكُمْ آيَةٌ } أي: علامة تدل على قدرة الله؛ وإنما قال: { لَكُمْ } لأنهم هم الذين اقترحوها، وإن كانت آية لهم ولغيرهم. وفي وجه كونها آية قولان.

أحدهما: أنها خرجت من صخرة ملساء، فتمخضت بها تمخض الحامل، ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها.

والثاني: أنها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم، وتسقيهم اللبن مكانه. قوله تعالى: { فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ } قال ابن الأنباري: ليس عليكم مؤنتها وعلفها. و{ تَأْكُلْ } مجزوم على جواب الشرط المقدر، أي: إن تذرورها تأكل.

قوله تعالى: { وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ } أي: لا تصيبوها بعقر.

قوله تعالى: { وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ } أي: أنزلكم. يقال: تبوأ فلان منزلاً: إذا نزله. وبوأتها: أنزلته. قال الشاعر:

وبوأت في صميم معشرها فتم في قومها مبوؤوها

أي: أنزلت من الكريم في صميم النسب؛ قاله الزجاج.

قوله تعالى: {تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا} السهل: ضد الحزن. والقصر: ما شيد وعلا من المنازل. قال ابن عباس: اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف، ونقبوا في الجبال للشتاء، قال وهب بن منبه: كان الرجل منهم يبني البنيان،

فتمر عليه مائة سنة، فيخرب، ثم يجدده، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب، ثم يجدده، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب، فأضجرهم ذلك، فأخذوا من الجبال بيوتاً. {قَالَ لِمَلَأَ الَّذِينَ سِتَّكَبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ سُئِلُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَلِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ لَسْتَكَبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنَّا بِهِ كَافِرُونَ} {قَالَ لِمَلَأَ الَّذِينَ سِتَّكَبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} وقرأ ابن عامر: {وَقَالَ

لِمَلَأَ} بزيادة واو؛ وكذلك هي في مصاحفهم، ومعنى الآية: تكبروا عن عبادة الله، {لِلَّذِينَ سُئِلُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ} يريد: المساكين. {لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ} بدل من قوله {لِلَّذِينَ سُئِلُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ} لأنهم المؤمنون. {أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَلِحًا مُرْسَلٌ} هذا استفهام إنكار.

{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَاحُ ابْنَتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَضَبُوا فِي دَارِهِمْ جَثِمِينَ} {فَعَقَرُوا النَّاقَةَ} أي: قتلوها. قال ابن قتيبة: والعقر يكون

بمعنى: القتل، ومنه قوله عليه السلام عند ذكر الشهداء: {مِنْ}. وقال ابن إسحاق: كمن لها قاتلها في أصل شجرة فرماها بسهم، فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكسر عرقوبها، ثم نحرها. قال الأزهري: العقر عند العرب: قطع عرقوب البعير، ثم جعل العقر نحرًا، لأن ناجر البعير يعقره ثم ينحره.

قوله تعالى: {فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا} قال الزجاج: جاوزوا المقدر في الكفر. قال أبو سليمان: عتوا عن اتباع أمر ربهم.

قوله تعالى: {بِمَا تَعِدُنَا} أي: من العذاب.

قوله تعالى: {فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ} قال الزجاج: الرجفة: الزلزلة الشديدة.

قوله تعالى: {فَأَضَبُوا فِي دَارِهِمْ} أي: في مدينتهم. فان قيل: كيف وحدهم في دارها، وجمعها في موضع آخر، فقال: {فِي دِيَارِهِمْ} فعنه جوابان،

ذكرهما ابن الأنباري.

أحدهما: أنه أراد بالدار: المعسكر، أي: فأصبحوا في معسكرهم. وأراد بقوله: في ديارهم: المنازل التي ينفرد كل واحد منها بمنزل.

والثاني: أنه أراد بالدار: الديار، فاكتفى بالواحد من الجميع، كقول الشاعر:

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا

وشواهد هذا كثيرة في هذا الكتاب.
قوله تعالى: {جَثِمِينَ} قال الفراء: أصبحوا رمادا جاثما. وقال أبو عبيدة: أي: بعضهم على بعض جثوم. والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل.
وقال ابن قتيبة: الجثوم: البروك على الركب. وقال غيره: كأنهم أصبحوا موتى على هذه الحال. وقال الزجاج: أصبحوا أجساما ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم. قال المفسرون: معنى {جَثِمِينَ}: بعضهم على بعض، أي: إنهم سقط بعضهم على بعض عند نزول العذاب.

{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِبِّيَاةَ رَبِّي وَتَصَدَّقْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا يُجِبُونَ النَّصِيحِينَ} * وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ لَفْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ عَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ} {

قوله تعالى: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ} يقول: انصرف صالح عنهم بعد عقر الناقة، لأن الله تعالى أوحى إليه أن أخرج من بين أظهرهم، فاني مهلكهم. وقال قتادة: ذكر لنا أن صالحا أسمع قومه كما أسمع نبيكم قومه، يعني: بعد موتهم.
قوله تعالى: {أَتَأْتُونَ لَفْحِشَةَ} يعني: إتيان الرجال. {مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ} قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط.
وقال بعض اللغويين: لوط: مشتق من لطت الحوض: إذا ملسته بالطين. قال الزجاج: وهذا غلط، لأنه اسم أعجمي كاسحاق، ولا يقال: إنه مشتق من السحق وهو البعد.

قوله تعالى: {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ} هذا استفهام إنكار. والمسرف: المجاوز ما أمر به. وقوله تعالى: {أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ} يعني: لوطا وأتباعه المؤمنين {إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ} قال ابن عباس: يتنزهون عن أدبار الرجال وأدبار النساء.

{فَأَنْجِيَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا مَرْأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ} * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} {

قوله تعالى: {فَأَنْجِيَهُ وَأَهْلَهُ} في أهله قولان.
أحدهما: ابنتاه. والثاني: المؤمنون به. {إِلَّا مَرْأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ} أي: الباقيين في عذاب الله تعالى. قال أبو عبيدة: وإنما قال: {مِنَ الْغَيْرِينَ} لأن صفة النساء مع صفة الرجال تذكر إذا أشرك بينهما.

قوله تعالى: { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا } قال ابن عباس: يعني الحجارة. قال مجاهد: نزل جبريل، فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، ورفعها، ثم قلبها، فجعل أعلاها أسفلها، ثم أتبعوا بالحجارة.

{ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لِمِيزَانٍ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }

قوله تعالى: { وَإِلَى مَدْيَنَ } قال قتادة: مدين: ماء كان عليه قوم شعيب، وكذلك قال الزجاج، وقال: لا ينصرف، لأنه اسم البقعة. وقال مقاتل: مدين: هو: ابن ابراهيم الخليل لصلبه. وقال أبو سليمان الدمشقي: مدين: هو ابن مديان بن ابراهيم، والمعنى: أرسلنا إلى ولد مدين، فعلى هذا هو اسم قبيلة. وقال بعضهم: هو اسم للمدينة. فالمعنى: وإلى أهل مدين. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: مدين: أسم أعجمي. فان كان عربيا، فالياء زائدة، من قولهم: مدن بالمكان: إذا أقام به.

قوله تعالى: { وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ } قال الزجاج: البخس: النقص والقلة؛ يقال: بخست أبخس بالسين، وبخست عينه، بالصاد لا غير.

{ لِمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ } أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل، وإرسال الرسل.

قوله تعالى: { إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } أي: مصدقين بما أخبرتكم عن الله.

{ وَلَا تَفْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُوتَهَا عِوَجًا وَ أَدْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }

قوله تعالى: { وَلَا تَفْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ } أي: بكل طريق { تُوعِدُونَ } من أمن بشعيب بالشر، وتخوفونهم بالعذاب والقتل. فان قيل: كيف أفرد الفعل، وأخلاه من المفعول؛ فهلا قال: تواعدون بكذا؟ فالجواب: أن العرب إذا أخلت هذا الفعل من المفعول، لم يدل إلا على شر؛ يقولون: أوعدت فلانا. وكذلك إذا أفردوا: وعدت من مفعول، لم يدل إلا على الخير. قال الفراء: يقولون: وعدته خيرا، وأوعدته شرا؛ فاذا أسقطوا الخير والشر، قالوا: وعدته: في الخير، وأوعدته: في الشر؛ فاذا جاؤوا بالباء، قالوا: وعدته والشر. وقال الراجز: أوعدني بالسجن والأداهم

قال المصنف: وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: إذا أرادوا أن يذكر ما تهددوا به مع أوعدت، جاؤوا بالباء، فقالوا: أوعدته بالضرب، ولا

يقولون: أوعدته الضرب. قال السدي: كانوا عشارين. وقال ابن زيد: كانوا يقطعون الطريق.

قوله تعالى: { وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } أي: تصرفون عن دين الله من آمن به. { وَتَبْعُوهَا عِوَجًا } مفسر في {ءَالَ عِمْرَانَ }.

قوله تعالى: { وَ لُكْرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ } قال الزجاج: جائز أن يكون المعنى: جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء؛ وجائز أن يكون: كثر عددكم بعد أن كنتم قليلا، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار، فكثيرهم.

{ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِأَلْحَىٰ أَرْسَلْنَا بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَصَبَرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } * قَالَ لِمَلَأَ الَّذِينَ سَتَّكَبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِيُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ }

قوله تعالى: { يُؤْمِنُوا } أي: إن اختلفتم في رسالتي، فصرتم فريقين، مصدقين ومكذبين { فَصَبَرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا } بتعذيب المكذبين، وإنجاء المصدقين { وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } لأنه العدل الذي لا يجور.

قوله تعالى: { أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا } يعنون: ديننا، وهو الشرك. قال الفراء: جعل في قوله: { لَتَعُوذُنَّ } لاما كجواب اليمين، وهو في معنى شرط، ومثله في الكلام: والله لأضربنك أو تقر لي، فيكون معناه معنى: { إلا } أو معنى:

{ حَتَّىٰ } . { قَالَ أَوْحَىٰ لَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ } أي: أو تجبروننا على ملتكم إن كرهناها؟ والألف للاستفهام. فإن قيل: كيف قالوا: { لَتَعُوذُنَّ }، وشعيب لم يكن في كفر قط، فيعود إليه؟ فعنه جوابان.

أحدهما: أنهم لما جمعوا في الخطاب معه من كان كافرا، ثم آمن، خاطبوا شعبيا بخطاب أتباعه، وغلبوا لفظهم على لفظه، لكثرتهم، وانفراده. والثاني: أن المعنى: لتصيرن إلى ملتنا فوق العود على معنى الابتداء، كما يقال: قد عاد علي من فلان مكروه، أي: قد لحقني منه ذلك؛ وإن لم يكن سبق منه مكروه. قال الشاعر:

فان تكن الأيام أحسن مرة إلي فقد عادت لهن ذنوب

وقد شرحنا هذا في قوله: { وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } في سورة {البقرة} وقد ذكر معنى الجوابين الزجاج، وابن الانباري.

{ قَدْ فَتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْتَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا لِلَّهِ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا فُتِحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ } * وَقَالَ لِمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لِيُنْبَغْتُمْ شُعَبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَحَسِرْتُمْ لَأُرْجِفَنَّكُمْ فَاصْبَحُوا

فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ * لِّذِينَ كَذَّبُوا سُعَيْبًا كَانَ لَهُمْ يَئْتُونَ فِيهَا لِّذِينَ كَذَّبُوا سُعَيْبًا
كَانُوا هُمْ لِخَسِيرِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي
وَوَصَّحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ {
قوله تعالى: { قَدْ فُتِّرْنَا عَلَىٰ آلِهِ كَذَّبًا إِنَّ عُدَّتَا فِي مَلَّتِكُمْ } وذلك أن القوم
كانوا يدعون أن الله أمرهم بما هم عليه، فلذلك سموه ملة. { وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
تُعَوِّدَ فِيهَا } أي: في الملة، { إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } أي: إلا أن يكون قد سبق في
علم الله ومشئته أن نعود فيها، { وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا } قال ابن عباس:
يعلم ما يكون قبل أن يكون.
قوله تعالى: { عَلَىٰ آلِهِ تَوَكَّلْنَا } أي: فيما توعدتمونا به، وفي حراستنا عن
الضلال. { رَبَّنَا فَتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ } قال أبو عبيدة: احكم بيننا،
وأنشد:
أبلغ بني عصم رسولا بأني عن فتاحتكم غني

قال الفراء: وأهل عمان يسمون القاضي: الفاتح والفتاح. قال الزجاج: وجائز
أن يكون المعنى: أظهر أمرنا حتى يفتح ما بيننا وينكشف، فجائز أن يكونوا
سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم.
قوله تعالى: { كَانَ لَهُمْ يَئْتُونَ فِيهَا } فيه أربعة أقوال.
أحدها: كان لم يعيشوا في دارهم، قاله ابن عباس، والأخفش. قال حاتم
طبيء:

غنيما زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

قال الزجاج:
معنى غنيما: عشنا. والتصعلك: الفقر، والعرب تقول للفقير: الصعلوك.
والثاني: كان لم يتنعموا فيها، قاله قتادة.
والثالث: كان لم يكونوا فيها، قاله ابن زيد، ومقاتل.
والرابع: كان لم ينزلوا فيها، قاله الزجاج. قال الأصمعي المغاني: المنازل؛
يقال: غنيما بمكان كذا، أي: نزلنا بمكان كذا، أي: نزلنا به. وقال ابن قتيبة: كان
لم يقيموا فيها، ومعنى غنيما بمكان كذا: أقمنا. قال ابن الأنباري: وإنما كرر
قوله: { لِّذِينَ كَذَّبُوا سُعَيْبًا } للمبالغة في ذمهم، كما تقول أخوك الذي أخذ
أموالنا، أخوك الذي شتم أعراضنا.

قوله تعالى: { فَتَوَلَّى عَنْهُمْ } فيه قولان. أحدهما: أعرض. والثاني: انصرف. { وَقَالَ يَا بَنِي قَوْمٍ لَقَدْ أَفْلَحْتُمْ مِمَّا كَفَرْتُمْ } قال قتادة: أسمع شعيب قومه، وأسمع صالح قومه، كما أسمع نبيكم قومه يوم بدر؛ يعني: أنه خاطبهم بعد الهلاك. { فَكَيْفَ آسَى } أي: أأحزن. وقال ابن إسحاق: أصاب شعيبا على قومه حزن شديد، ثم عاتب نفسه، فقال: كيف آسى على قوم كافرين.

{ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّغُونَ }

قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ } قال الزجاج: يقال لكل مدينة: قرية، لإجتمع للناس فيها. وقال غيره: في الآية اختصار تقديره: فكذبوه. { إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ } وقد سبق تفسير البأساء والضراء في { الْآنُعْمَ }، وتفسير التضرع في هذه السورة. ومقصود الآية: إعلام النبي صلى الله عليه

وسلم بسنة الله في المكذبين، وتهديد قريش. { ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَيَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَقَامِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ } قوله تعالى: { ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ } فيه قولان.

أحدهما: أن السيئة: الشدة؛ والحسنة: الرخاء، قاله ابن عباس. والثاني: السيئة: الشر؛ والحسنة: الخير، قاله مجاهد.

قوله تعالى: { حَتَّى عَفَوْا } قال ابن عباس: كثروا، وكثرت أموالهم. { وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ } فنحن مثلهم، يصيبنا ما أصابهم، يعني: أنهم أرادوا أن هذا دأب الدهر، وليس بعقوبة. { فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْتَةً } أي: فجأة بنزول العذاب { وَهُمْ } بنزوله، حتى أهلكهم الله.

قوله تعالى: { وَتَقَوُّوا لِفَتْحِنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } قال الزجاج: المعنى: أتاهم الغيث من السماء، والنبات من الأرض، وجعل ذلك زاكيا كثيرا. { أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَقَامِنَا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ }

قوله تعالى: { أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى } قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع: { أَوْ أَمِنَ أَهْلُ } باسكان الواو. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: { أَوْ أَمِنَ } بتحريك الواو. وروى ورش عن نافع: { أَوْامِنَ } يدغم الهمزة، ويلقي حركتها على الساكن.

{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ لِقُرَى بَقُصٍّ عَلَيْكَ مِنَ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ }

قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ} وقرأ يعقوب {نهد} بالنون، وكذلك في {رَكْزاً طه} {والسجدة}. قال الزجاج: من قرأ بالياء، فالمعنى: أو لم يبين الله لهم. ومن قرأ بالنون، فالمعنى: أو لم نبين. وقوله تعالى: {بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ} ليس بمحمول على {أَصَبْنَاهُمْ}، لأنه لو حمل على {أَصَبْنَاهُمْ} لكان: ولطبعنا. وإنما المعنى: ونحن نطبع على قلوبهم. ويجوز أن يكون محمولا على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، كما قال: {أَنْ لَوْ نَشَاءُ}، والمعنى: لو شئنا. وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون معطوفاً على: أصبنا، إذ كان بمعنى نُصِيبُ؛ فوضع الماضي في موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستقبال، كما قال: {تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ} أي: إن يشأ، يدل عليه قوله: {وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا}، قال الشاعر:
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً مني وما سمعوا من صالح دفنوا

أي: يدفنوا.
قوله تعالى: {فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} أي: لا يقبلون، ومنه: {سَمِعَ اللَّهُ * لِمَنْ}، قال الشاعر:
دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول

قوله تعالى: {بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} فيه خمسة أقوال.

أحدها: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أقروا به بالميثاق حين أخرجهم من صلب آدم، هذا قول أبي بن كعب.

والثاني: فما كانوا ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا به يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من صلب آدم، فأمّنوا كرها حيث أقروا بالألسن، وأضمرُوا التكذيب، قاله ابن عباس، والسدي.

والثالث: فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم، هذا قول مجاهد.

والرابع: فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية، بل شاركوهم في التكذيب، قاله يمان بن رباب.
والخامس: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا قبل رؤيتها.

{ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ }
قوله تعالى: { وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ } قال مجاهد: يعني القرون الماضية. { مِّنْ عَهْدٍ } قال أبو عبيدة: أي: وفاء. قال ابن عباس: يريد: الوفاء بالعهد الذي عاهدهم حين أخرجهم من صلب آدم. وقال الحسن: العهد هاهنا: ما عهده إليهم مع الأنبياء أن لا يشركوا به شيئاً.

قوله تعالى: { وَإِن وَجَدْنَا } قال أبو عبيدة: وما وجدنا أكثرهم إلا الفاسقين.
{ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } * وَقَالَ مُوسَىٰ يُفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ لَعَلَّيْنَ *
حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا لِحَقِّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ *

قوله تعالى: { ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم } يعني: الأنبياء المذكورين.
قوله تعالى: { فَظَلَمُوا بِهَا } قال ابن عباس: فكذبوا بها. وقال غيره: فجددوا بها.

قوله تعالى: { حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا لِحَقِّ } { عَلَىٰ } بمعنى { الباء } قال الفراء: العرب تجعل الباء في موضع { عَلَىٰ }؛ تقول: رميت بالقوس، وعلى القوس، وجئت بحال حسنة، وعلى حال حسنة. وقال أبو عبيدة: { حَقِيقٌ } بمعنى: حريص. وقرأ نافع، وأبان عن عاصم: { حَقِيقٌ عَلَىٰ } بتشديد الياء وفتحها، على الاضافة. والمعنى: واجب علي.
قوله تعالى: { قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ } قال ابن عباس: يعني: العصا. { فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } أي: أطلق عنهم؛ وكان قد استخدمهم في الأعمال الشاقة.
{ فَأَيُّ الْفِرْعَوْنَ } قال أبو عبيدة: أي: حية ظاهرة. قال الفراء: الثعبان أعظم الحيات، وهو الذكر. وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس: الثعبان: الحية الذكر.

{ وَتَرَعَّ يَدَهُ فَأَيُّ الْفِرْعَوْنَ } * قَالَ لِمَلَأَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَادَا تَأْمُرُونَ * قَالَ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي لَمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا ثُوَّكُ يَكُلُ سِحْرَ عَلِيمٍ * وَجَاءَ السَّحْرُ فِرْعَوْنَ قَالَ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ لَعٰلِمِيْنَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ

* قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ تَحَرُّنَ لِمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا
أَلْقُوا سَجُودًا وَعَيْنًا لِلنَّاسِ وَ سَبَّوْهُمُ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ
مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ * فَعُلِّبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاحِبِينَ * وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ * قَالُوا

ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ {

قوله تعالى: { وَتَرَغَ يَدُهُ } قال ابن عباس: أدخل يده في جيبه، ثم أخرجها،
فاذا هي تبرق مثل البرق، لها شعاع غلب نور الشمس، فخرروا على وجوههم؛
ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت. قال مجاهد: بيضاء من غير برص.

قوله تعالى: { فَمَادَا تَأْمُرُونَ } قال ابن عباس: ما الذي تشيرون به علي؟
وهذا يدل على أنه من قول فرعون، وأن كلام الملائق انقطع عند قوله: { مَنْ
أَرْضِكُمْ }.

قال الزجاج: يجوز أن يكون من قول الملائق، كأنهم خاطبوا فرعون
ومن يخصه، أو خاطبوه وحده، لأنه قد يقال للرئيس المطاع: ماذا ترون؟

قوله تعالى: { أَرَجْتَهُ } قرأ ابن كثير { أَرَجَهُؤُ } مهموز بواو بعد الهاء في اللفظ.
وقرأ أبو عمرو مثله، غير أنه يضم الهاء ضمة، من غير أن يبلغ بها الواو؛ وكان
يهمزان { مرجؤن } و { ترجيء }.

وقرأ قالون والمسيبي عن نافع { قَالُوا أَرْجَهُ } بكسر الهاء، ولا يبلغ بها الياء،
ولا يهمز. وروى عنه ورش: { أَرَجِهِي } يصلها بياء، ولا يهمز بين الجيم والهاء.
وكذلك قال إسماعيل بن جعفر عن نافع؛ وهي قراءة الكسائي. وقرأ حمزة:

{ قَالُوا أَرْجَهُ } ساكنة الهاء غير مهموز، وكذلك قرأ عاصم في غير رواية
المفضل، وقد روى عنه المفضل كسر الهاء من غير إشباع ولا همز، وهي
قراءة أبي جعفر، وكذلك اختلافهم في سورة { الشعراء }.

قال ابن قتيبة: أرجه: أخره؛ وقد يهمز، يقال: أرجأت الشيء، وأرجيته. ومنه قوله: { رَّحِيمًا
تُرْجَىٰ مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ }.

قال الفراء: بنو أسد تقول: أرجيت الأمر، بغير همز،
وكذلك عامة قيس؛ وبعض بني تميم يقولون: أرجأت الأمر، بالهمز، والقراء
مولعون بهمزها، وترك الهمز أجود.

قوله تعالى: { وَأَرْسِلْ فِي لَمَدَاتِنِ } يعني: مدائن مصر، { حَاشِرِينَ } أي: من
يحشر السحرة إليك ويجمعهم. وقال ابن عباس: هم الشرط.

قوله تعالى: { يَا تُورُوكَ بِكُلِّ سَجِرٍ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم
وابن عامر: { سَجِرٌ }، وفي { يُونُسَ }؛ { بِكُلِّ سَجِرٍ }؛ وقرأ حمزة،
والكسائي: { سَجَارٍ } في الموضعين؛ ولا خلاف في { يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا }؛ { سَجَارٍ }.

قوله تعالى: {إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا} قرأ ابن كثير، ونافع، وحفص عن عاصم: {إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا} مكسورة الألف على الخبر، وفي {الشعراء} {أَشْرَكُوا أَيَّنَ} ممدودة مفتوحة الألف، غير أن حفصاً روى عن عاصم في {الشعراء}: {مَعَكُمْ أَعْن} بهمزتين. وقرأ أبو عمرو: {أَيَّنَ * لَنَا} ممدودة في السورتين. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بهمزتين في الموضعين. قال أبو علي: الاستفهام أشبه بهذا الموضع، لأنهم لم يقطعوا على أن لهم الأجر، وإنما استفهموا عنه.

قوله تعالى: {وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} أي: ولكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي.

قوله تعالى: {سَخَرُوا أَغْيَانَ النَّاسِ} قال أبو عبيدة: عشوا أعين الناس وأخذوها. {وَسَيُتْرَهُبُوهُمْ} أي: خوفوهم. وقال الزجاج: استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس.

قوله تعالى: {فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ} وقرأ عاصم: {تَلْقَفُ} ساكنة اللام خفيفة القاف ها هنا وفي {طه}، و{الشعراء}. وروى البزي، وابن فليح عن ابن كثير: {يَمِينِكَ تَلْقَفُ} بتشديد التاء قال الفراء: يقال: لقت الشيء، فأنا ألقفه لقفا ولقفانا؛ والمعنى: يتبتلع.

قوله تعالى: {مَا يَأْفِكُونَ} أي: يكذبون، لأنهم زعموا أنها حيات. قوله تعالى: {فَوَقَعَ الْحَقُّ} قال ابن عباس: استبان. {وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} من السحر.

الإشارة إلى قصتهم

اختلفوا في عدد السحرة على ثلاثة عشر قولاً.

أحدها: اثنان وسبعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: اثنان وسبعون ألفاً، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل.

والثالث: سبعون، روي عن ابن عباس أيضاً.

والرابع: اثنا عشر ألفاً، قاله كعب.

والخامس: سبعون ألفاً، قاله عطاء، وكذلك قال وهب في رواية، إلا أنه قال:

فاختار منهم سبعة آلاف.

والسادس: سبعمائة، وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب أنه قال:

كان عدد السحرة الذين عارضوا موسى سبعين ألفاً متخيرين من سبعمائة

ألف، ثم إن فرعون اختار من السبعين ألفاً سبعمائة.

والسابع: خمسة وعشرون ألفاً، قاله الحسن.

والثامن: تسعمائة، قاله عكرمة.

والتاسع: ثمانون ألفاً، قاله محمد بن المنكدر.
والعاشر: بضعة وثلاثون ألفاً، قاله السدي.
والحادي عشر: خمسة عشر ألفاً، قاله أبو اسحاق.
والثاني عشر: تسعة عشر ألفاً، رواه أبو سليمان الدمشقي.
والثالث عشر: أربع مائة، حكاه الثعلبي. فأما أسماء رؤسائهم، فقال ابن
إسحاق: رؤوس السحرة ساتور، وعاذور، وحطحط، ومُصَفِّي، وهم الذين
آمنوا، كذا حكاه ابن ماكولا. ورأيت عن غير ابن إسحاق: سابورا، وعازورا.
وقال مقاتل: اسم أكبرهم شمعون. قال ابن عباس: ألقوا حبلاً غلاظاً، وخشبا
طوالاً، فكانت ميلاً في ميل، فألقى موسى عصاه، فاذا هي أعظم من حبالهم
وعصبيهم، قد سدت الأفق، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً، فابتلعت ما ألقوا من
حبالهم وعصبيهم، وجعلت تأكل جميع ما قدرت عليه من صخرة أو شجرة،
والناس ينظرون، وفرعون يضحك تجلداً، فأقبلت الحية نحو فرعون، فصاح: يا
موسى، يا موسى، فأخذها موسى، وعرفت السحرة أن هذا من السماء،
وليس هذا بسحر، فخرروا سجداً، وقالوا: آمنا برب العالمين، فقال فرعون:
إياي تعنون، فقالوا: رب موسى وهارون، فأصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء.
وقال وهب بن منبه: لما صارت ثعباناً حملت على الناس فانهزموا منها، فقتل
بعضهم بعضاً، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً. وقال السدي: لقي موسى
أمير السحرة، فقال: رأيت إن غلبتك غداً، أتؤمن بي؟ فقال الساحر: لأتبع غداً
بسحر لا يغلبه السحر، فوالله لئن غلبتني لأؤمنن بك. فان قيل: كيف جاز أن
يأمرهم موسى بالإلقاء، وفعل السحر كفر؟ فعنه ثلاثة أجوبة. أحدها: أن
مضمون أمره: إن كنتم محقين فآلقوا. والثاني: ألقوا على ما يصح، لا على ما
يفسد ويستحيل، ذكرهما الماوردي.

والثالث: إنما أمرهم بالإلقاء لتكون معجزته أظهر، لأنهم إذا ألقوا، ألقى عصاه
فابتلعت ذلك، ذكره الواحدي. فان قيل: كيف قال: {وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ}
{ وإنما سجدوا باختيارهم؟ فالجواب: أنه لما زالت كل شبهة بما أظهر الله
تعالى من أمره، اضطربهم عظيم ما عاينوا إلى مبادرة السجود، فصاروا
مفعولين في الإلقاء تصحيحاً وتعظيماً لشأن ما رأوا من الآيات، ذكره ابن
الانباري. قال ابن عباس: لما أمنت السحرة، اتبع موسى ستمائة ألف من بني
إسرائيل.

{ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَدِّنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي لَمَدِيْنَةٍ
لِّيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ
لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ }

قوله تعالى: {يَهْ أَلْنَ} قرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو: {ءَامَنْتُمْ بِهِ} بهمزة ومدة على الاستفهام. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: {ءَامِنْتُمْ بِهِ} فاستفهموا بهمزتين، الثانية ممدودة. وقرأ حفص عن عاصم: {يَهْ أَلْنَ} على الخبر. وروى ابن الإخريط عن ابن كثير: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَءَامَنْتُمْ بِهِ} فقلب همزة الاستفهام واوا، وجعل الثانية ملينة بين بين. وروى قبل عن القواس مثل رواية ابن الإخريط، غير أنه كان يهمز بعد الواو. وقال أبو علي: همز بعد الواو لأن هذه الواو منقلبة عن همزة الاستفهام، وبعد همزة الاستفهام {أفعلتم} فحققها ولم يخففها.

قوله تعالى: {لَكُمْ إِنْ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُتُمْوهُ} قال ابن السائب: لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} عاقبة ما صنعتم، {لَا قَطْعَنَّ أَيْدِيَكُمْ أَرْجُلِكُمْ * مِّنْ خَلْفٍ} وهو قطع اليد اليمنى، والرجل اليسرى. قال ابن عباس: أول من فعل ذلك، وأول من صلب، فرعون. {وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفَرغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ لِمَلَأْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتِكَ قَالَ سَتَقَتُّلُ أبنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ سَتَعْبُدُونَ بِاللَّهِ وَ صَبُّوا إِنْ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ لِعَقِبِهِ لِلْمُتَّقِينَ}

قوله تعالى: {وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا} أي: وما تكره منا شيئاً، ولا تعطن علينا إلا لأننا أمنا. {رَبَّنَا أَفَرغَ عَلَيْنَا صَبْرًا} قال مجاهد: على القطع والصلب حتى لا نرجع كفارا {وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} أي: مخلصين: على دين موسى. وقوله تعالى: {وَأَنْذِرْ * مُوسَى وَقَوْمَهُ} هذا إغراء من الملائكة لفرعون. وفيما أرادوا بالفساد في الأرض قولان. أحدهما: قتل أبناء القبط، واستحياء نساءهم، كما فعلوا ببني إسرائيل، قاله مقاتل. والثاني: دعاؤهم الناس إلى مخالفة فرعون وترك عبادته.

قوله تعالى: {وَيَذَرَكَ} جمهور القراء على نصب الراء؛ وقرأ الحسن برفعها. قال الزجاج: من نصب {وَيَذَرَكَ} نصبه على جواب الاستفهام بالواو؛ والمعنى: أياكون منك أن تذر موسى وأن يذرك؟ ومن رفعه جعله مستأنفاً، فيكون المعنى: أئذّر موسى وقومه، وهو يذرك وألهتك؟ والأجود أن يكون معطوفاً على {أَتَذَرُ} فيكون المعنى: أئذّر موسى، وأيدرك موسى؟ أي أتطلق له هذا؟.

قوله تعالى: {وَأِلِهَتِكَ} قال ابن عباس: كان فرعون قد صنع لقومه أصناماً صغاراً، وأمرهم بعبادتها، وقال أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى}. وقال غيره: كان قومه يعبدون تلك الأصنام تقرباً إليه. وقال الحسن: كان يعبد تيساً في السر. وقيل: كان يعبد البقر سرّاً. وقيل: كان يجعل في عنقه شيئاً يعبده. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وابن محيصن: {والإهتك} بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام وبالف بعدها. قال الزجاج: المعنى: ويذكر وربوبيتك. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الإلهة: العبادة؛ فالمعنى: ويذكر وعبادة الناس إياك، قال ابن قتيبة: من قرأ: {والإهتك} أراد ويذكر والشمس التي تعبد، وقد كان في العرب قوم يعبدون الشمس ويسمونها آلهة. قال الأعشى:

فما أذكر الرهبة حتى انقلبت قبيل الإلهة منها قريباً

يعني: الشمس. والرهب: ناقتة. يقول: اشتغلت بهذه المرأة عن ناقتي إلى هذا الوقت.

قوله تعالى: {قَالَ سَتَقْتُلُونَ أَبْنَاءَهُمْ} قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: {سَتَقْتُلُونَ} و{يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ} بالتشديد، وخففهما نافع. وقرأ ابن كثير: {سَتَقْتُلُونَ} خفيفة، {وَيُقْتَلُونَ} مشددة، وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لعلمه أنه لا يقدر عليه. {وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} أي: عالون بالملك والسلطان. فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على أبنائهم، فقال موسى: {سَتُعِينُونِي بِاللَّهِ وَطَبَرُوا} على ما يفعل بكم {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}. وقرأ الحسن، وهبيرة عن حفص عن عاصم: {يُورِثُهَا} بالتشديد. فأطمعهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم. قوله تعالى: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} فيها قولان. أحدهما: الجنة. والثاني: النصر

والظفر
{قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذَابُكُمْ وَيَسْتَخْلِقَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} قوله تعالى: {قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} في هذا الأذى ستة أقوال.

أحدها: أن الأذى الأول والثاني أخذ الجزية، قاله الحسن.

والثاني: أن الأول: ذبح الأبناء، والثاني: إدراك فرعون يوم طلبهم، قاله السدي.

والثالث: أن الأول أنهم كانوا يسخرون في الأعمال إلى نصف النهار، ويرسلون في بقيته يكتسبون، والثاني: تسخيرهم جميع النهار بلا طعام ولا شراب، قاله جوير.

والرابع: أن الأول تسخيرهم في ضرب اللبن، وكانوا يعطونهم التبن الذي يخلطونه في الطين؛ والثاني: أنهم كلفوا ضرب اللبن وجعل التبن عليهم، قاله ابن السائب.

والخامس: أن الأول: قتل الأبناء واستحياء البنات، والثاني: تكليف فرعون إياهم ما لا يطيقونه، قاله مقاتل.

والسادس: أن الأول: استخدامهم وقتل آبائهم واستحياء نسائهم، والثاني: إعادة ذلك العذاب.

وفي قوله: { مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا } قولان.

أحدهما: تأتينا بالرسالة، ومن بعد ما جئنا بها، قاله ابن عباس.

والثاني: تأتينا بعهد الله أنه سيخلصنا، ومن بعد ما جئتنا به، ذكره الماوردي. قوله تعالى: { عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ } قال الزجاج: عسى: طمع وإشفاق، إلا أن ما يُطمع الله فيه فهو واجب.

قوله تعالى: { وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ } في هذا الاستخلاف قولان.

أحدهما: أنه استخلاف من فرعون وقومه. والثاني: استخلاف عن الله تعالى، لأن المؤمنين خلفاء الله في أرضه. وفي الأرض قولان.

أحدهما: أرض مصر، قاله ابن عباس. والثاني: أرض الشام، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: { فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } قال الزجاج: أي: يراه بوقوعه منكم لأنه إنما يجازيهم على ما وقع منهم، لا على ما علم أنه سيقع.

قوله تعالى: { وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ } قال أبو عبيدة: مجازه: ابتليناهم بالجدوب. وآل فرعون:

أهل دينه وقومه. وقال مقاتل: هم أهل مصر.

قال الفراء: { بِالسِّنِينَ } أي: بالقحط والجدوب عاما بعد عام. وقال الزجاج:

السنون في كلام العرب: الجدوب، يقال: مستهم السنة، ومعناه: جذب السنة، وشدة السنة. وإنما أخذهم بالضراء، لأن أحوال الشدة، تُرِقُّ القلوب، وترغب

فيما عند الله وفي الرجوع إليه، قال قتادة: أما السنون، فكانت في بواديهم ومواشيهم، وأما نقص الثمرات، فكان في أمصارهم وقراهم. وروى الضحاك

عن ابن عباس قال: يبس لهم كل شيء، وذهبت مواشيهم، حتى يبس نيل

مصر، فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا له: إن كنت ربا كما تزعم فاملاً لنا نيل مصر، فقال: غدوة يصيحكم الماء، فلما خرجوا من عنده، قال: أي شيء صنعت؟ أنا أقدر أن أجيء بالماء في نيل مصر غدوة أصبح، فيكذبوني؟ فلما كان جوف الليل، اغتسل، ثم لبس مدرعة من صوف، ثم خرج حافياً حتى أتى بطن نيل مصر فقام في بطنه، فقال: اللهم إنك تعلم أنني أعلم أنك تقدر أن تملأ نيل مصر ماء، فاملاًه، فما علم إلا بخير الماء لما أراد الله به من الهلكة. قلت: وهذا الحديث بعيد الصحة، لأن الرجل كان دهرياً لا يثبت آلهة، ولو صح، كان إقراره بذلك كإقرار إبليس، وتبقى مخالفته عناداً.

{قَادَا جَاءَتْهُمْ لِحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }
قوله تعالى: {قَادَا جَاءَتْهُمْ لِحَسَنَةُ } وهي: الغيث والخصب وسعة الرزق

والسلامة {قَالُوا لَنَا هَذِهِ } أي: نحن مستحقوها على ما جرى لنا من العادة في سعة الرزق، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه. {وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ } وهي القحط والجذب والبلاء {يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ } أي: يتشاءموا بهم. وكانت العرب تزجر الطير، فتشاءم بالبارح، وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتترك بالسانح، وهو الذي يأتي من جهة اليمين.

قوله تعالى: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ } قال أبو عبيدة: {إلا } تنبيه وتوكيد ومجاز. {طَائِرُهُمْ } حظهم ونصيبهم وقال ابن عباس: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ } أي: إن الذي أصابهم من الله. وقال الزجاج: المعنى: ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا.

{وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالجَّرَادَ وَالقُمَّلَ وَالصَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مَفْصَلَاتٍ وَ سَلَّكِبْرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ }

قوله تعالى: {وَقَالُوا مَهْمَا } قال الزجاج: زعم النحويون أن أصل {مَهْمَا } ماما، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء ليختلف اللفظ، ف {مَا } الأولى هي: {مَا } الجزاء، و {مَا } الثانية، هي: التي تزداد تأكيداً للجزاء، ودليل النحويين على ذلك: أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا و {مَا } تزداد، فيه قال الله تعالى: {فَإِذَا تَشَقَّقْتَهُمْ } كقولك: إن تشققتهم، وقال: {وَإِذَا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ } وتكون {مَا } الثانية للشرط والجزاء، والتفسير الأول: هو الكلام، وعليه استعمال الناس. قال ابن الأنباري: فعلى قول من قال: إن معنى {مه} الكف، يحسن الوقف على {مه}، والاختيار: أن لا يوقف عليها دون {فِي مَا } لأنها في المصحف حرف واحد. وفي الطوفان ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الماء. قال ابن عباس: أرسل عليهم مطر دائم الليل والنهار ثمانية أيام، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وأبو مالك، ومقاتل، واختاره الفراء، وابن قتيبة.

والثاني: أنه الموت، روته عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبه قال مجاهد، وعطاء، ووهب بن منبه، وابن كثير.

والثالث: أنه الطاعون، نقل عن مجاهد، ووهب أيضا. وفي القمل سبعة أقوال. أحدها: أنه السوس الذي يقع في الحنطة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقال به.

والثاني: أنه الدبى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء.

وقال قتادة: القمل: أولاد الجراد. وقال ابن فارس: الدبى: الجراد إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته.

والثالث: أنه دواب سود صغار، قاله الحسن، وسعيد بن جبير. وقيل: هذه الدواب: هي السوس.

والرابع: أنه الجعلان، قاله حبيب بن أبي ثابت.

والخامس: أنه القمل، ذكره عطاء الخراساني، وزيد بن أسلم.

والسادس: أنه البراغيث، حكاه ابن زيد.

والسابع: أنه الحمنان، واحدها: حمنانة، وهي ضرب من القردان، قاله أبو عبيدة. وقرأ الحسن، وعكرمة، وابن يعمر:

{ الْقُمَّلُ } برفع القاف وسكون الميم.

وفي الدم قولان. أحدهما: أن ماءهم صار دما، قاله الجمهور. والثاني: أنه رعاف أصابهم، قاله زيد بن أسلم.

الإشارة إلى شرح القصة

قال ابن عباس: جاءهم الطوفان، فكان الرجل لا يقدر ان يخرج إلى ضيعته، حتى خافوا الغرق، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشفه عنا، ونؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل؛ فدعا لهم، فكشفه الله عنهم، وأنبت لهم شيئا لم ينبت قبل ذلك، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل ما أنبت الأرض، فقالوا: ادع لنا ربك فدعا، فكشف الله عنهم، فأحرزوا زروعهم في البيوت، فأرسل الله عليهم القمل، فكان الرجل يخرج بطحين عشرة أجربة إلى الرحى، فلا يرى منها ثلاثة أقفزة، فسألوه، فدعا لهم، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، ولم يكن شيء أشد منها، كانت تجيء إلى القدر وهي تغلي وتفور، فتلقي أنفسها فيها، فتفسد طعامهم وتطفئ نيرانهم، وكانت الضفادع برية، فأورثها الله تعالى برد الماء والثرى إلى يوم

القيامة، فسألوه، فدعا لهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فجرت أنهارهم وقلبهم دما، فلم يقدرُوا على الماء العذب، وبنو إسرائيل في الماء العذب، فاذا دخل الرجل منهم يستقي من أنهار بني إسرائيل صار ما دخل فيه دما، والماء من بين يديه ومن خلفه صاف عذب لا يقدر عليه، فقال فرعون: أقسم بالهي يا موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا موسى، فذهب الدم، وعذب ماؤهم، فقالوا: والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل.

قوله تعالى: {ءَايَاتٍ مَّفَصَّلَاتٍ وَ سَتَّكْبُرُوا} قال ابن قتيبة: بين الآية والآية فصل. قال المفسرون: كانت الآية تمكث من السبب إلى السبب، ثم يبقون عقيب رفعها شهرا في عافية، ثم تأتي الآية الأخرى. قال وهب بن منبه: بين كل آيتين أربعون يوما. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعدما غلب السحرة عشرين سنة يربهم الآيات، الجراد والقمل والضفادع والدم.

وفي قوله: { وَ سَتَّكْبُرُوا } قولان. أحدهما: عن الإيمان. والثاني: عن الانزجار. {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يُمُوسَى ائْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بِنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ * فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي لَيْمٍ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} قوله تعالى: {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ} أي: نزل بهم العذاب. وفي هذا العذاب قولان.

أحدهما: أنه طاعون أهلك منهم سبعين ألفا، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: أنه العذاب الذي سلطه الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك، قاله ابن زيد. قال الزجاج: الرجز: العذاب، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب. ومعنى الرجز في العذاب: أنه المقلقل لشدته قلقلة شديدة متتابعة. وأصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات، فمن ذلك قولهم: ناقة رجزاء إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها. ومنه رجز الشعر، لأنه أقصر أبيات الشعر، والانتقال من بيت إلى بيت، سريع، نحو قوله: يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

وزعم الخليل أن الرجز ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث. قوله تعالى: {بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ} فيه أربعة أقوال.

أحدها: أن معناه: بما أوصاك أن تدعوه به. والثاني: بما تقدم به إليك أن تدعوه فيجيبك. والثالث: بما عهد عندك في كشف العذاب عن أمن. والرابع: أن ذلك منهم على معنى القسم، كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعوا لهم. قوله تعالى: {إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ} أي: إلى وقت غرقهم. {إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ} أي: ينقضون العهد.

قوله تعالى: {فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ} قال أبو سليمان الدمشقي: انتصرنا منهم باحلال نعمتنا بهم، وتلك النعمة تغريقنا إياهم في اليم. قال ابن قتيبة: اليم: البحر بالسريانية.

قوله تعالى: {وَكَاثِبًا عَنْهَا عِيفِينَ} فيه قولان.

أحدهما: عن الآيات، وغفلتهم: تركهم الاعتبار بها. والثاني: عن النقمة. {وَأَوْرَثْنَا لِقَوْمٍ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا لَيْتَىٰ بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لِحُسْنِي عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} * وَجَوْرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لِبَحْرٍ فَأَتُوا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}

قوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَا لِقَوْمٍ} يعني: بني إسرائيل. {لَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ} أي: يستذلون بذبح الأبناء، واستخدام النساء، وتسخير الرجال. {مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا} فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: مشارق الشام ومغاربها، قاله الحسن.

والثاني: مشارق أرض الشام ومصر.

والثالث: أنه على إطلاقه في شرق الأرض وغربها.

قوله تعالى: {لَيْتَىٰ بَارَكْنَا فِيهَا} قال ابن عباس: بالماء والشجر.

قوله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لِحُسْنِي} وهي وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض، وذلك في قوله: {وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ سَبَّحُوا فِي الْأَرْضِ} وقد بينا علة تسمية ذلك كله في {ءَالَ عِمْرَانَ}.

قوله تعالى: {بِمَا صَبَرُوا} فيه قولان.

أحدهما: على طاعة الله تعالى. والثاني: على أذى فرعون.

قوله تعالى: {وَدَمَّرْنَا} أي: أهلكنا {مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ} من العمارات والمزارع، والدمار: الهلاك. {وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} أي: ينون. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: {يَعْرِشُونَ} بكسر الراء هاهنا وفي {النَّحْلِ}. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن

عاصم: بضم الراء فيهما. وقرأ ابن أبي عبلة: {يَعْرِشُونَ} بالتشديد. قال الزجاج: يقال: عَرِشَ يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ: إذا بنى. قوله تعالى: {يَعْكُفُونَ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، ويعقوب: {يَعْكُفُونَ} بضم الكاف. وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل: بكسر الكاف وقرأ ابن أبي عبلة: بضم الياء وتشديد الكاف. قال الزجاج: ومعنى {يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ}: يواظبون عليها ويلازمونها، يقال: لكل من لزم شيئاً وواظب عليه: عَكَفَ يَعْكِفُ وَيَعْكُفُ. قال قتادة: كان أولئك القوم نزولاً بالرقعة، وكانوا من لحم. وقال غيره: كانت أصنامهم تماثيل البقر. وهذا إخبار عن عظيم جهلهم حيث توهّموا جواز عبادة غير الله بعدما رأوا الآيات.

{إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} قوله تعالى: {إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} قال ابن قتيبة: مهلك. والتبار: الهلاك.

{قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} قوله تعالى: {قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا} أي: أطلب لكم، وهذا استفهام إنكار. قال المفسرون، منهم ابن عباس، ومجاهد: العالمون هاهنا: عالمو زمانهم.

{وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ عَذَابٍ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} قوله تعالى: {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ} قرأ ابن عامر: {وَإِذَا أَنْجَاكُمْ} على لفظ الغائب المفرد.

{وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ خُلْفَىٰ فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} قوله تعالى: {وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً} المعنى: وعدناه انقضاء الثلاثين ليلة. قال ابن عباس: قال موسى لقومه: إن ربي وعدني ثلاثين ليلة، فلما فصل إلى ربه زاده عشرا، فكانت فتنهم في ذلك العشر. فان قيل: لم زيد هذا العشر؟ فالجواب: أن ابن عباس قال: صام تلك الثلاثين ليلهن ونهارهن، فلما انسلخ الشهر، كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم، فتناول شيئاً من نبات الأرض فمضغه، فأوحى الله تعالى إليه: لا كلمتك حتى يعود فوك على ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحب إلي من ريح المسك؟ وأمره بصيام عشرة أيام. وقال أبو العالية: مكث موسى على الطور أربعين ليلة. فبلغنا أنه لم يحدث حتى هبط منه.

فان قيل: ما معنى { فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً } وقد علم ذلك عند انضمام العشر إلى الثلاثين؟.

فالجواب من وجوه: أحدها: أنه للتأكيد. والثاني: ليدل أن العشر، ليال، لا ساعات. والثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن تكون من جملة الثلاثين، لأنه يجوز أن يسبق إلى الوهم أنها كانت عشرين ليلة فأتمت بعشر وقد بينا في سورة {البقرة} لماذا كان هذا الوعد.

قوله تعالى: { وَأَصْلَحَ } قال ابن عباس: مرهم بالإصلاح. وقال مقاتل: ارفق. { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أِنِّي أَنظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لِنَبْتَلِيكَ أَأَنْتَ نَذِيرٌ } وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يُمُوسَىٰ إِنَّي طُطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ }

قوله تعالى: { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا } قال الزجاج: أي: للوقت الذي وقتنا له. { وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ } أسمع كلامه، ولم يكن فيما بينه وبين الله عز وجل فيما سمع أحد. { قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرُ إِلَيْكَ } أي: أرني نفسك.

قوله تعالى: { قَالَ لِنَبْتَلِيكَ } تعلق بهذا نفاة الرؤية وقالوا: { لَن } لنفي الأبد، وذلك غلط، لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله: { وَلِنَبْتَلِيكَ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيهِمْ } ثم أخبر عنهم بتمنيه في النار بقوله: { وَتَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ } ولأن ابن عباس قال في تفسيرها: لن تراني في الدنيا.

وقال غيره: هذا جواب لقول موسى: { أَرِنِي } ولم يرد: أرني في الآخرة، وإنما أراد في الدنيا، فأجيب عما سأل. وقال بعضهم: لن تراني بسؤالك. وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية، لأن موسى مع علمه بالله تعالى، سألها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك، لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة وإنما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه لقال: { لَا أَرَى }، ألا ترى أن نوحا لما قال: { إِنَّ بَنِيَّ مِنِّي مِنْ أَهْلِ } أنكر عليه بقوله: { إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي مِنْ أَهْلِكَ }. ومما يدل على جواز الرؤية أنه علقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدل على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحالت علقه بمستحيل فقال: { حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ }. قوله تعالى: { فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ } أي: ثبت ولم يتضعع.

قوله تعالى: { فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ } قال الزجاج:

ظهر، وبان. { جَعَلَهُ دَكًّا } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: { دَكًّا } منونة مقصورة ها هنا وفي { لِكَهْفٍ }. وقرأ عاصم: { دَكَّا } ها هنا منونة مقصورة، وفي { لِكَهْفٍ } { دَكَّاء } ممدودة غير منونة. وقرأ حمزة، والكسائي: { دَكَّاء } ممدودة غير منونة في الموضعين. قال أبو عبيدة: { جَعَلَهُ دَكًّا } أي: مندكًا، والدك: المستوي؛ والمعنى: مستويا مع وجه الأرض، يقال: ناقة دكاء، أي: ذاهبة السنام مستو ظهرها. قال ابن قتيبة: كان سنامها دك، أي: التصق، قال: ويقال: إن أصل دككت: دققت، فأبدلت القاف كافا لتقارب المخرجين. وقال أنس بن مالك في قوله: { جَعَلَهُ دَكًّا } : ساخ الجبل. قال ابن عباس: واسم الجبل: زبير، وهو أعظم جبل بمدين، وإن الجبال تطاولت ليتجلى لها، وتواضع زبير فتجلى له.

قوله تعالى: { وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا } فيه قولان.

أحدهما: مغشيا عليه، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد.

والثاني: ميتا، قاله قتادة، ومقاتل. والأول أصح، لقوله: { فَلَمَّا أَفَاقَ } وذلك لا يقال للميت. وقيل: بقي في غشيته يوما وليلة.

قوله تعالى: { سُبْحٰنَكَ تُبٰتُّ إِلَيْكَ } فيما تاب منه ثلاثة أقوال. أحدها: سؤاله الرؤية، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها. والثالث: إعتقاد جواز رؤيته في الدنيا.

وفي قوله: { وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ } قولان. أحدهما: أنك لن تُرى في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أول المؤمنين من بني إسرائيل، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: { إِنِّي طَطَفَيْتُكَ } فتح ياء { إِنِّي } ابن كثير، وأبو عمرو. وقرأ ابن كثير، ونافع: { برسالتني }. قال الزجاج: المعنى: اتخذتك صفوة على الناس برسالاتي وبكلامي، ولو كان إنما سمع كلام غير الله لما قال: { أَلْتَأَسَّ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي } لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله.

{ مَوْكِبَتَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمُرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَيَأْوُرِكُمْ دَارَ لَفْسِيقِينَ }

قوله تعالى: { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ } في ماهية الألواح سبعة أقوال.

أحدها: أنها زبرجد، قاله ابن عباس.

والثاني: ياقوت، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: زمرد أخضر، قاله مجاهد.

والرابع: برد، قاله أبو العالية.
والخامس: خشب، قاله الحسن.
والسادس: صخر، قاله وهب بن منبه.
والسابع: زمرد وياقوت، قاله مقاتل.
وفي عددها أربعة أقوال.
أحدها: سبعة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.
والثاني: لوحان، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. قال: وإنما سماها الله تعالى ألواحاً، على مذهب العرب في إيقاع الجمع على التثنية، كقوله: { وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } يريد: داود وسليمان، وقوله: { فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ }.
والثالث: عشرة، قاله وهب.
والرابع: تسعة، قاله مقاتل.
وفي قوله: { مِنْ كُلِّ شَيْءٍ } قولان. أحدهما: من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والواجب وغيره. والثاني: من الحكم والعبارة.
قوله تعالى: { مَوْعِظَةٌ } أي: نهيا عن الجهل. { وَتَفْصِيلًا } أي: تبييناً لكل شيء من الأمر والنهي والحدود والأحكام.
قوله تعالى: { فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ } فيه ثلاثة أقوال.
أحدها: بجد وحزم، قاله ابن عباس.
والثاني: بطاعة، قاله أبو العالية.
والثالث: بشكر، قاله جويبر.
قوله تعالى: { وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا أُخُدُوا بِأَحْسَنِهَا } إن قيل: كأن فيها ما ليس بحسن؟ فعنه جوابان.
أحدهما: أن المعنى: يأخذوا بحسنها، وكلها حسن، قاله قطرب. وقال ابن الأنباري: ناب { أَحْسَنُ } عن { حُسْنٌ } كما قال الفرزدق:
إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول
أي: عزيزة طويلة. وقال غير: { لِأَحْسَنِ } ها هنا صلة، والمعنى: يأخذوا بها.
والثاني: أن بعض ما فيها أحسن من بعض. ثم في ذلك خمسة أقوال.
أحدها: أنهم أمروا فيها بالخير ونهوا عن الشر، ففعل الخير هو الأحسن.
والثاني: أنها اشتملت على أشياء حسنة بعضها أحسن من بعض، كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، فأمروا أن يأخذوا بالأحسن، ذكر القولين الزجاج.
فعلى هذا القول، يكون المعنى: أنهم يتبعون العزائم والفضائل، وعلى الذي

قبله، يكون المعنى: أنهم يتبعون الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالقبح وهو المعصية.
والثالث: أحسنها: الفرائض والنوافل، وأدونها في الحسن: المباح.
والرابع: أن يكون للكلمة معنيان أو ثلاثة، فتصرف إلى الاشبه بالحق.
والخامس: أن أحسنها: الجمع بين الفرائض والنوافل.
قوله تعالى: { سَأُورِيكُمْ دَارَ لَقَسِيْقَيْنِ } فيها أربعة أقوال.
أحدها: أنها جهنم، قاله الحسن، ومجاهد. والثاني: أنها دار فرعون وقومه، وهي مصر، قاله عطية العوفي. والثالث: أنها منازل من هلك من الجبابرة والعمالقة، يربهم إياها عند دخولهم الشام، قاله قتادة. والرابع: أنها مصارع الفاسقين، قاله السدي. ومعنى الكلام: سأريكم عاقبة من خالف أمري، وهذا تهديد للمخالف، وتحذير للموافق.

{ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ لَعْنِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }
قوله تعالى: { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ }
في هذه الآية قولان.

أحدهما: أنها خاصة لأهل مصر فيما رأوا من الآيات. والثاني: أنها عامة، وهو أصح. وفي الآيات قولان.

أحدهما: أنها آيات الكتب المتلوة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال. أحدها: أمنعهم فهمها. والثاني: أمنعهم من الإيمان بها. والثالث: أصرفهم عن الاعتراض عليها بالإبطال.

والثاني: أنها آيات المخلوقات كالسماء والأرض والشمس والقمر وغيرها، فيكون المعنى: أصرفهم عن التفكير والاعتبار بما خلقت. وفي معنى يتكبرون قولان.

أحدهما: يتكبرون عن الإيمان واتباع الرسول.

والثاني: يحقرون الناس ويرون لهم الفضل عليهم.

قوله تعالى: { وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: { سَبِيلَ الرُّشْدِ } بضم الراء خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي: { سَبِيلَ الرُّشْدِ } بفتح الراء والشين مثقلة.

قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ} قال الزجاج: فعل الله بهم ذلك بأنهم {كَذَّبُوا
بِنَائِيَّتَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} أي: كانوا في تركهم الإيمان بها والتدبر لها
بمنزلة الغافلين. ويجوز أن يكون المعنى: وكانوا عن جزائها غافلين.
{وَإِذْ أَخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا
يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا لِأَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ} أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل
للميقات. {مِنْ خُلَيْهِمْ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم وابن عامر:
{مِنْ خُلَيْهِمْ} بضم الحاء. وقرأ حمزة، والكسائي: {خُلَيْهِمْ} بكسر الحاء.
وقرأ يعقوب: بفتحها وسكون اللام وتخفيف الياء. والحلي: جمع حلي، مثل:
تَدِي وَتُدِيٍّ، وهو اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة. قال الزجاج: ومن
كسر الحاء من {خُلَيْهِمْ} أتبع الحاء كسر اللام. والجسد: هو الذي لا يعقل ولا
يميز، إنما هو بمعنى أجنة فقط. قال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم
الروح منه، وأن شخصه شخص مثال وصورة، غير منضم إليهما روح ولا نفس.
فأما الخوار: فهو صوت البقرة، يقال: خارت البقرة تخور، وجارت تجار؛ وقد
نقل عن العرب أنهم يقولون في مثل صوت الإنسان من البهائم: رغا البعير
وجرجر وهدر وقبقب، وصهل الفرس وحمحم، وشهق الحمار ونهق، وشحج
البغل، وثغت الشاة وبعرت، وثأجت النعجة، وبغم الطبي ونزب، وزار الأسد
ونهت ونأت، ووعوع الذئب، ونهم الفيل، وزقح القرد، وضبح الثعلب، وعوى
الكلب ونبح، وماءت السنور، وصأت الفأرة، ونفق الغراب، معجمة الغين، وزقأ
الديك، وسقع وصفر النسر، وهدر الحمام وهدل، ونقضت الضفادع ونقت،
وعزفت الجن. قال ابن عباس: كان العجل إذا خار سجدوا، وإذا سكت رفعوا
رؤوسهم. وفي رواية أبي صالح عنه: أنه خار خورة واحدة ولم يتبعها مثلها،
وبهذا قال وهب، ومقاتل. وكان مجاهد يقول: خواره حفيف الريح فيه؛ وهذا
يدل على أنه لم يكن فيه روح. وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو مجلز: {لَهُ} بجيم
مرفوعة.

قوله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ} أي: لا يستطيع كلامهم. {وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا} أي: لا يبين لهم طريقاً إلى حجة. {لِأَخَذُوهُ} يعني: اتخذوه إلهاً.
{وَكَانُوا ظَالِمِينَ} قال ابن عباس: مشركين.
{وَلَمَّا سَقَطَ رِيقُ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلَّوْا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْجَمْنَا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} * وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ إِسِفًا قَالِ يَسْمَا
خَلْفَتُمُونِي مِنْ بَعْدِ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ
إِلَيْهِ قَالَ بُنْ أُمَّ إِنَّ لِقَوْمٍ سَتَضَعُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بَنِي الْأَعْدَاءِ

وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ عُنْفُرِي وَلَاخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيبَالَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ {

قوله تعالى: {وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ} أي: ندموا. قال الزجاج: يقال للرجل
النادم على ما فعل: المتحسر على ما فرط. قد سُقِطَ في يده، وأسقط في
يده. وقرأ ابن السميع، وأبو عمران الجوني: {سُقِطَ} بفتح السين. قال
الزجاج: والمعنى: ولما سقط الندم في أيديهم، يشبه ما يحصل في القلب
وفي النفس بما يرى بالعين. قال المفسرون: هذا الندم منهم إنما كان بعد
رجوع موسى.

قوله تعالى: {لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر
وعاصم: {يَرْحَمْنَا رَبُّنَا} {وَيَغْفِرْ لَنَا} بالياء والرفع. وقرأ حمزة، والكسائي،
{ترحمنا} و{لَمْ تَغْفِرْ لَنَا} بالتاء، {رَبَّنَا} بالنصب.

قوله تعالى: {غَضِبْنَا أَسِئًا} في الاسف ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الحزين، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثاني: الجزع، قاله
مجاهد.

قوله تعالى: {قَالَ} أي لقومه {بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي} فتح ياء {بَعْدِي}
{أهل الحجاز، وأبو عمرو؛ والمعنى: بئس ما عملتم بعد فراقني من عبادة
العجل. {أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} قال الفراء: يقال: عجلت الأمر والشيء؛
سبقته، ومنه هذه الآية. وأعجلته: استحثته.

قوله تعالى: {قَالَ} أي لقومه {بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي} فتح ياء {بَعْدِي}
{أهل الحجاز، وأبو عمرو؛ والمعنى: بئس ما عملتم بعد فراقني من عبادة
العجل. {أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} قال الفراء: يقال: عجلت الأمر والشيء؛
سبقته، ومنه هذه الآية. وأعجلته: استحثته.

وقال أبو علي: يحتمل أن يريد من فتح: {قَالَ} {بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي}،
ومن كسر {بِئْسَمَا} فيحذف الياء. فان قيل: لم قال: {قَالَ} {بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي} ولم يقل:
{يا ابن أب}؟ فالجواب: أن ابن عباس قال: كان أخاه لأبيه وأمه، وإنما قال له
ذلك ليرفقه عليه. قال أبو سليمان الدمشقي: والإنسان عند ذكر الوالدة أرق
منه عند ذكر الوالد. وقيل: كان لأمه دون أبيه، حكاة الثعلبي.

قوله تعالى: {قَالَ} {بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي} {بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي}
أي: استذلوني. {فَلَا تُشْمِثُ بِيَ الْأَعْدَاءِ} قرأ عبد الله بن عباس، ومالك بن
دينار، وابن عاصم: {فَلَا تُشْمِثُ} بقاء مفتوحة مع فتح الميم، {الْأَعْدَاءِ}

بالرفع. وقرأ مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وأبو رجاء: { فَلَا تُشْمِتْ } بفتح التاء وكسر الميم، { أَلَاغْدَاءَ } بالنصب.

وقرأ أبو الجوزاء، وابن أبي عبله. مثل ذلك، إلا أنهما رفعاً { أَلَاغْدَاءَ } ويعني بالأغداء: عبدة العجل. { وَلَا تَجْعَلِنِي } في موجدتك وعقوبتك لي { مَعَ لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ } وهم عبدة العجل. فلما تبين له عذر أخيه { قَالَ رَبِّ عَفِّرْ لِي }. قوله تعالى: { وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } فيها قولان.

أحدهما: أنها الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: ما أمروا به من قتل أنفسهم، قاله الزجاج. فعلى الأول يكون ما أضيف إليهم من الجزية في حق أولادهم، لأن أولئك قتلوا ولم يؤدوا جزية. قال عطية: وهذه الآية فيما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء لتوليهم متخذي العجل ورضاهم به.

قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ } قال ابن عباس: كذلك أعاقب من اتخذ إلهاً دوني. وقال مالك بن انس: ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلة، وقرأ هذه الآية. وقال سفيان بن عيينة: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، قال: وهي في كتاب الله تعالى، قالوا: وأين هي؟ قال: أوما سمعتم قوله: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئَاتٍ لَّهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }. قالوا: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا، أتلوا ما بعدها: { وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ } فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة. { وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَّوْاْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَعَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ } قوله تعالى: { وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ } فيها قولان.

أحدهما: أنها الشرك. والثاني: الشرك، وغيره من الذنوب. { ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا } يعني: السيئات. وفي قوله: { وَأَمَّوْاْ } قولان.

أحدهما: آمنوا بالله، وهو يُخْرَجُ على قول من قال: هي الشرك. والثاني: آمنوا بأن الله تعالى يقبل التوبة. { إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا } يعني: السيئات.

{ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَىٰ لِعِصْبِ أَخَذَ الْأَلْوَاْحَ وَفِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَابُونَ } قوله تعالى: { وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَىٰ لِعِصْبِ } وقرأ ابن عباس، وأبو عمران: { سَكَتَ } بفتح السين وتشديد الكاف وبتاء بعدها، { لِعِصْبِ } بالنصب. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، والجحدري: { سَكَتَ } بضم السين وتشديد الكاف مع كسرهما. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وطلحة: { سَكَنَ } بنون. قال الزجاج: سكت بمعنى: سكن، يقال: سكت يسكت سكتا: إذا سكن، وسكت يسكت

سكتا وسكوتا: إذا قطع الكلام. قال: وقال بعضهم: المعنى: ولما سكت موسى عن الغضب، على القلب، كما قالوا: أدخلت القلنسوة في رأسي. والمعنى: أدخلت رأسي في القلنسوة، والأولى هو قول أهل العربية. قوله تعالى: {أَخَذَ الْأَوَاحِ} يعني: التي كان ألقاها. وفي قوله: {وَفِي نُسُخَتِهَا} قولان.

أحدهما: وفيما بقي منها، قاله ابن عباس. والثاني: وفيما نسخ فيهما، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: {لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَابُونَ} فيهم قولان.

أحدهما: أنه عام في الذين يخافون الله، وهو معنى قول ابن عباس.

والثاني: أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، وهو معنى قول قتادة. {وَخُتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلَمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَنُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}

قوله تعالى: {وَخُتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ} المعنى: اختار من قومه فحذف {مِنْ}، تقول العرب: اخترتك القوم، أي: اخترتك من القوم، وأنشدوا: منا الذي اختير الرجال سماحة وجودا إذا هب الرياح الزعازع

هذا قول ابن قتيبة، والفراء، والزجاج. وفي هذا الميقات أربعة أقوال. أحدها: أنه الميقات الذي وقته الله لموسى ليأخذ التوراة، أمر أن يأتي معه بسبعين، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال نوف البكالي. والثاني: أنه ميقات وقته الله تعالى لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلا ليدعو ربهم، فدعوا فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحدا قبلنا، ولا تعطيه أحدا بعدنا، فكره الله ذلك، وأخذتهم الرجفة؛ رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أنه ميقات وقته الله لموسى، لأن بني إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة، فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين، ثم ارتق بهم على الجبل أنت وهارون، واستخلف يوشع بن نون، ففعل ذلك، قاله وهب بن منبه. والرابع: أنه ميقات وقته الله لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل، فيعتذر إليه من فعل عبدة العجل، قاله السدي. وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي إلا بإذن منه.

فأما الرجفة. فهي: الحركة الشديدة. وفي سبب أخذها إياهم أربعة أقوال. أحدها: أنه ادعاهم على موسى قتل هارون؛ قاله علي بن أبي طالب. والثاني: اعتداؤهم في الدعاء وقد ذكرناه في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أنهم لم ينهوا عبدة العجل ولم يرضوا؛ نقل عن ابن عباس. وقال قتادة، وابن جريج: لم يأمرهم بالمعروف، ولم ينهوهم عن المنكر، ولم يزيلوهم.

والرابع: أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى، فلما سمعوه قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى آلَ اللَّهِ جَهْرَةً} قاله السدي، وابن إسحاق. قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِيَّيَ} قال السدي: قام موسى يبكي ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم {لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِيَّيَ} قال الزجاج: لو شئت أمتهم قبل أن تتليهم بما أوجب عليهم الرجفة. وقيل: لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإياي، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني.

قوله تعالى: {أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} قال المبرد: هذا استفهام استعطاف، أي: لا تهلكنا. وقال ابن الأنباري: هذا استفهام على تأويل الجحد، أراد: لست تفعل ذلك. و{السُّفَهَاءُ} هاهنا: عبدة العجل. وقال الفراء: ظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل. وإنما أهلكوا بقولهم: {أَرِنَا آلَ اللَّهِ جَهْرَةً}.

قوله تعالى: {إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتَكَ} فيها قولان.

أحدهما: أنها الأبتلاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وأبو العالية.

والثاني: العذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة.

قوله تعالى: {أَنْتَ وَلِيْنَا} أي: ناصرنا وحافظنا.

{وَكُنْتُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسْبَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابٌ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ

مُلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ
الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَابْتَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {
قوله تعالى: { وَ كُتِبَ لَنَا } أي: حقق لنا وأوجب { فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ }
وهي: الأعمال الصالحة { وَفِي الْآخِرَةِ } المغفرة والجنة { إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ } أي:
تبنا، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وقتادة، والضحاك،
والسدي. وقال ابن قتيبة: ومنه { لِيُذِينَ هَادُوا } كأنهم رجعوا من شيء إلى
شيء. وقرأ أبو وجزة السعدي: { إِنَّا هُدْنَا } بكسر الهاء. قال ابن الأنباري:
المعنى: لا تتغير؛ يقال هاد يهود ويهيد.

قوله تعالى: { قَالَ عَدَايَ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ } وقرأ الحسن البصري،
والأعمش وأبو العالية: { مِنْ * أَسْيَاءِ } بسين غير معجمة مع النصب.
قوله تعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } في هذا الكلام أربعة أقوال.
أحدها: أن مخرجه عام، ومعناه خاص، وتأويله: ورحمتي وسعت المؤمنين من
أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى: { فَسَاكُنْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ } قاله
ابن عباس.

والثاني: أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة،
وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، البر والفاجر، وفي الآخرة هي
للمتقين خاصة، قاله الحسن، وقتادة. فعلى، هذا معنى الرحمة في الدنيا
للكافر: أنه يرزق ويدفع عنه، كقوله في حق قارون: { وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ *
إِلَيْكَ }.

والثالث: أن الرحمة: التوبة، فهي على العموم، قاله ابن زيد.
والرابع: أن الرحمة تسع كل الخلق، إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدر
دخولهم فيها لو سعتهم، قاله ابن الأنباري. قال الزجاج: وسعت كل شيء في
الدنيا. { فَسَاكُنْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ } في الآخرة. قال المفسرون: معنى
{ فَسَاكُنْتُمُهَا }؛ فسأوجبها. وفي الذين يتقون قولان.

أحدهما: أنهم المتقون للشرك، قاله ابن عباس. والثاني: للمعاصي، قاله
قتادة. وفي قوله: { وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } قولان. أحدهما: أنها زكاة الأموال، قاله
الجمهور.

والثاني: أن المراد بها: طاعة الله ورسوله، قاله ابن عباس، والحسن، ذهب
إلى أنها العمل بما يزكي النفس ويطهرها. وقال ابن عباس، وقتادة: لما نزلت
{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فنزعها الله
من إبليس، فقال: { يُؤْمِنُونَ } فقالت اليهود: نحن نتقي، ويؤتي الزكاة، ونؤمن
بآيات ربنا، فنزعها الله منهم، وجعلها لهذه الأمة، فقال: { لِيُذِينَ يَتَّبِعُونَ }

الرَّسُولَ [النَّبِيَّ] [الْمَيَّ] { وقال تَوْفُّ: قال الله تعالى لموسى: أجعل لكم الأرض طهوراً ومسجداً، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم، وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرأها الرجل منكم، والمرأة، والحر، والعبد، والصغير، والكبير، فأخبر موسى قومه بذلك، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس والبيع، ولا أن تكون السكينة إلا في التابوت، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظراً، فقال الله تعالى: { فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ } إلى قوله: { لِمُفْلِحُونَ } وفي هؤلاء المذكورين في قوله: { لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } إلى قوله: { لِمُفْلِحُونَ } قولان.

أحدهما: أنهم كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وتبعه، قاله ابن عباس. والثاني: أنه محمد صلى الله عليه وسلم، قاله السدي، وقتادة. وفي تسميته بالأمي قولان. أحدهما: لا يكتب. والثاني: لأنه من أم القرى. قوله تعالى: { لِيَذِي يَجِدُوهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ } أي: يجدون نعته ونبوته. قوله تعالى:

{ يَا مُرْهُم بِ لِمَعْرُوفٍ } قال الزجاج: يجوز أن يكون مستأنفاً، ويجوز أن يكون { يَجِدُوهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ } أنه يأمرهم بالمعروف. قال ابن عباس: المعروف: مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام. والمنكر: عبادة الأوثان، وقطع الأرحام. وقال مقاتل: المعروف: الإيمان، والمنكر: الشر. وقال غيره: المعروف: الحق، لأن العقول تعرف صحته، والمنكر: الباطل، لأن العقول تنكر صحته. وفي الطيبات أربعة أقوال.

أحدها: أنها الحلال، والمعنى: يحل لهم الحلال.

والثاني: أنها ما كانت العرب تستطيبه.

والثالث: أنها الشحوم المحرمة على بني إسرائيل.

والرابع: ما كانت العرب تحرمه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وفي الخبائث ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها الحرام، والمعنى: ويحرم عليهم الحرام.

والثاني: أنها ما كانت العرب تستخبثه ولا تأكله، كالحيات، والحشرات.

والثالث: ما كانوا يستحلونه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

قوله تعالى: { وَيَصْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: { إِصْرَهُمْ }. وقرأ ابن عامر: { أَصَارَهُمْ } ممدودة الألف على الجمع. وفي هذا الإصر قولان.

أحدهما: أنه العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة، قاله ابن عباس.

والثاني: التشديد الذي كان عليهم من تحريم السبت، وأكل الشحوم والعروق، وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة. وقال مسروق: لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب، فيصبح وقد كتب على باب بيته: إن كفارته أن تنزع عينيك فينزعهما.

قوله تعالى: {إِضْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ لِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} قال الزجاج: ذكر الأغلال: تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جعلت هذا طوقاً في عنقك، وليس هناك طوق، إنما جعلت لزومه كالطوق. والأغلال: أنه كان عليهم أن لا يقبل منهم في القتل دية، وأن لا يعملوا في السبت، وأن يقرضوا ما أصاب جلودهم من البول. قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ} يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم. {وَعَزَّزُوهُ} وروي أبان {وَعَزَّزُوهُ} بتخفيف الزاي. وفي المعنى قولان. أحدهما: نصره وأعانوه، قاله مقاتل.

والثاني: عظموه، قاله ابن قتيبة. و{النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ}: القرآن سماه نورا، لأن بيانه في القلوب كبيان النور في العيون. وفي قوله معه قولان. أحدهما: أنها بمعنى {عَلَيْهِ}.

والثاني: بمعنى أنزل في زمانه، قال قتادة. أما نصره، فقد سُبِقْتُمْ إِلَيْهِ، ولكن خيركم من آمن به واتبع النور الذي أنزل معه.

قوله تعالى: {لِذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ} في الكلمات قولان. أحدهما: أنها القرآن، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كلماته: آياته. والثاني: أنها عيسى بن مريم، قاله مجاهد، والسدي.

{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} قوله تعالى: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ} فيه قولان. أحدهما: يدعون إلى الحق. والثاني: يعملون به.

قوله تعالى: {وَبِهِ يَعْدِلُونَ} قال الزجاج: وبالحق يحكمون. وفي المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال.

أحدها: أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم مثل ابن سلام وأصحابه، قاله ابن السائب. والثالث: أنهم الذين تمسكوا بالحق في زمن أنبيائهم، ذكره الماوردي.

{وَقَطَعْنَاهُمْ نِسْيَ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ طَرِبَ بَعْضُكَ لِحَجْرٍ فَاَنْبَجَسَتْ مِنْهُ ثِنْتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ لَعْنَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْيَمْنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ سَبِّكُوا

هَذِهِ لِقَرْبَةٍ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاجْزَلُوا لِبَابِ سُجْدًا تَعْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ {
قوله تعالى: { وَقَطَعْتَهُمْ } يعني: قوم موسى، يقول: فرقناهم { ائنتي عشرة أسباطا } يعني: أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر ولدا، فولد كل واحد منهم سبطا، قال الفراء: وإنما قال: { ائنتي عشرة } والسبب ذكر، لأن بعده { أمما } { فذهب بالتأنيث إلى الأمم، ولو كان { ائنتي عشرة } لتذكير السبب، كان جائزا. وقال الزجاج: المعنى: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة، { أسباطا } نعت { فرقة } كأنه يقول: جعلناهم أسباطا، وفرقناهم أسباطا، فيكون { أسباطا } بدلا من { اثنتي عشرة } و { أمما } من نعت أسباط. والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل ليفصل بين ولد إسماعيل وبين ولد إسحاق. وقال أبو عبيدة: الأسباط: قبائل بني إسرائيل، واحدهم: سبط، ويقال: من أي سبط أنت أي؟ من أي قبيلة وجنس؟

قوله تعالى: { فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ } قال ابن قتيبة: انفجرت؛ يقال: تبجس الماء، كما يقال: تفجر؛ والقصة مذكورة في { سُورَةُ }.
قوله تعالى: { تَعْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ } قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي: { تَعْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ } بالتاء مهموزة على الجمع. وقرأ أبو عمرو: { تَعْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ } مثل: { قضاياكم }، ولا تاء فيها. وقرأ نافع: { لَمْ تَعْفِرْ } بالتاء مضمومة { خَطِيئَتِكُمْ } بالهمز وضم التاء، على الجمع، وافقه ابن عامر في { تَعْفِرْ } بالتاء المضمومة، لكنه قرأ: { خَطِيئَتِكُمْ } على التوحيد.

{ وَسَأَلَهُمْ عَنِ لِقَرْبَةٍ لِّي كَانَتْ حَاضِرَةً لِّبَحْرِهِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِينًا يُهْمُ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ }

قوله تعالى: { واسألهم } يعني: أسباط اليهود، وهذا سؤال تقرير وتوبيخ يقرهم على قديم كفرهم، ومخالفة أسلافهم الأنبياء، ويخبرهم بما لا يعلم إلا بوحى. وفي القرية خمسة اقوال.
أحدها: أنها أيلة، رواه مرة عن ابن مسعود، وأبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي.
والثاني: أنها مدين، رواه عكرمة عن ابن عباس.
والثالث: أنها ساحل مدين، روي عن قتادة.
والرابع: أنها طبرية، قاله الزهري.

والخامس: أنها قرية يقال لها: مقنا، بين مدين وعينونا، قاله ابن زيد. ومعنى: {كَانَتْ حَاضِرَةً لِّبَحْرٍ} مجاورة البحر وبقره وعلى شاطئه. {إِذْ يَعْدُونَ} قال الزجاج: أي: يظلمون، يقال: عدا فلان يعدو عدوانا وعداء وعدوا وعدوا: إذا ظلم وموضع {إِذْ} نصب، والمعنى: سلهم عن وقت عدوهم في السبت. {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانِهِمْ} في موضع نصب أيضا ب {يَعْدُونَ} والمعنى: سلهم إذ عدوا في وقت الإتيان. {شُرْعًا} أي: ظاهرة. {كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ} أي: مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم بفسقهم. ويحتمل على بعد أن يكون المعنى: {وَيَوْمَ لَا يَسْتَيْئُونَ لَا تَأْتِيهِمْ} كذلك، أي: لا تأتيهم شرعا؛ ويكون {تَبْلُوهُمْ} مستأنفا. وقرأ الحسن، والأعمش، وأبان، والمفضل عن عاصم: {يَسْتَيْئُونَ} بضم الياء. {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ} قال المفسرون: افترق أهل القرية ثلاث فرق، فرقة صادت وأكلت، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد، وقالت للفرقة الناهية: {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ} لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين، فقالت الفرقة الناهية: {مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: {مَعذِرَةٌ} رفعا، أي: موعظتنا إياهم معذرة، والمعنى: أن الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذرا إلى الله. وقرأ حفص عن عاصم: {مَعذِرَةٌ} نصبا، وذلك على معنى نعتذر معذرة. {وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} أي: وجائز أن ينتفعوا بالموعظة فيتركوا المعصية.

{فَلَمَّا تَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَيْعَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعٌ لِّعِقَابٍ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {

قوله تعالى: {فَلَمَّا تَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ} يعني: تركوا ما وعظوا به {أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} وهم الناهون عن المنكر. والذين ظلموا هم المعتدون في السبت.

قوله تعالى: {بِعَدَابِ بَيْسٍ} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: {بَيْسٍ} على وزن فعيل، فالهمزة بين الباء والياء. وقرأ نافع: ب {يس} بكسر الباء من غير همز. وقرأ ابن عامر: كذلك إلا أنه همز. وروى خارجة عن نافع: ب {يس} بفتح الباء من غير همز، على وزن فعل. وروى أبو بكر عن عاصم: {بياس} على وزن {فيعل}. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأيوب:

{ بِيَّاسٍ } على وزن { فيعال } . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، ومعاذ القاريء: { لِأَلْقَبِ بِيَّسَ } بفتح الباء وكسر الهمزة من غير ياء على وزن { تَعِيس } . وقرأ الضحاك، وعكرمة: ب { بَصِيرًا يَس } بتشديد الياء مثل: { قِيم } . وقرأ أبو العالية، وأبو مجلز: { بِيَّسَ } بفتح الباء والسين وبهمزة مكسورة من غير ياء ولا ألف على وزن { فَعَلَ } . وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء: { بَائِس } بألف ومدة بعد الباء وبهمزة مكسورة بوزن { إِنِّي قَاعِلٌ } . قال أبو عبيدة: البئيس: الشديد. وأنشد:

حنقا علي وما ترى لي فيهم أثرا بئيسا

وقال الزجاج: يقال: بئس بيأس بأسا، والعاتي: الشديد الدخول في الفساد، المتمرد الذي لا يقبل موعظة. وقال ابن جرير: { فَلَمَّا عَتَوْا } أي: تمردوا فيما نهوا عنه، وقد ذكرنا في سورة { البقرة } قصة مسخهم. وكان الحسن البصري يقول: والله ما لحوم هذه الحيتان بأعظم عند الله من دماء قوم مسلمين. قوله تعالى:

{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ } فيه أربعة أقوال.

أحدها: أعلم، قاله الحسن، وابن قتيبة. وقال: هو من آذنتك بالأمر. وقال ابن الأنباري: تأذن: بمعنى: آذن؛ كما يقال: تعلم أن فلانا قائم، أي: اعلم. وقال أبو سليمان الدمشقي: أي: أعلم أنبياء بني إسرائيل. والثاني: حتم، قاله عطاء. والثالث: وعد، قاله قطرب. والرابع: تألى، قاله الزجاج.

قوله تعالى: { لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ } أي: على اليهود. وقال مجاهد: على اليهود والنصارى بمعاصيهم. { مَن يَسُوْمُهُمْ } أي: يوليهم { سُوءَ لِعْدَابٍ } . وفي المبعوث عليهم قولان. أحدهما: أنه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، قاله ابن عباس. والثاني: العرب، كانوا يجبونهم الخراج، قاله سعيد بن جبیر. قال: ولم يجب الخراج نبي قط إلا موسى، جباه ثلاث عشرة سنة، ثم أمسك إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقال السدي: بعث الله عليهم العرب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم. وفي سوء العذاب أربعة أقوال.

أحدها: أخذ الجزية. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: المسكنة والجزية، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الخراج، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبیر. والرابع: أنه القتال حتى يسلموا أو يعطوا الجزية.

{ وَقَطَعْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ [الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } }

قوله تعالى: { وَقَطَعْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا } قال أبو عبيدة: فرقناهم فرقا. قال ابن عباس: هم اليهود، ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة. وقال مقاتل: هم بنو إسرائيل. وقيل: معناه: شتات أمرهم وافتراق كلمتهم. { مِنْهُمْ } الصَّالِحُونَ } وهم المؤمنون بعيسى ومحمد عليهما السلام. { وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ } وهم الكفار. وقال ابن جرير: إنما كانوا على هذه الصفة قبل أن يبعث عيسى، وقبل ارتدادهم.

قوله تعالى: { وَبَلَّوْتَهُمْ } أي: اختبارناهم { بِالْحَسَنَاتِ } وهي: الخير، والخصب، والعافية، { وَالسَّيِّئَاتِ } وهي: الجذب، والشر، والشدائد؛ فالحسنات والسيئات تحت على الطاعة، أما النعم فطلب الزيادة منها، وخوف زوالها، والنقم فلكشفها، والسلامة منها. { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } أي لكي يتوبوا. { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا لِكِتَابٍ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ لِكِتَابٍ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ } أي: من بعد الذين وصفناهم { خَلْفٌ } وقرأ

الجوني، والجحدري: { خَلْفٌ } بفتح اللام. قال أبو عبيدة: الخلفُ والخَلْفُ واحد، وقوم يجعلون المحرك اللام، للصالح، والمسكن لغير الصالح. وقال ابن قتيبة: الخلفُ: الرديء من الناس ومن الكلام، يقال: هذا خَلْفٌ من القول. وقال ابن الانباري: أكثر ما تستعمل العرب الخَلْفَ، باسكان اللام، في الرديء المذموم. وتفتح اللام في الفاضل الممدوح. وقد يوقع الخَلْفُ على الممدوح، والخَلْفُ على المذموم، غير أن المختار ما ذكرناه. وفي المراد بهذا الخلف ثلاثة أقوال.

أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن زيد.

والثاني: النصاري.

والثالث: أن الخَلْفَ من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والقولان عن مجاهد. فإن قيل: الخَلْفُ واحد، فكيف قال: { يَأْخُذُونَ } وكذلك قال في { مَرِيَمَ } { أَصَاغُوا } فقد ذكر ابن الانباري عنه جوابين.

أحدهما: أن الخَلْفَ: جمع خالف، كما أن الركب: جمع راكب، والشرب: جمع شارب.

والثاني: أن الخَلْفَ مصدر يكون للثنين والجميع، والمذكر والمؤنث.

قوله تعالى: { وَرِثُوا لِكِتَابٍ } أي: انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف، فيخرج في الكتاب ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه التوراة. والثاني: الإنجيل. والثالث: القرآن.
قوله تعالى: {يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا [الَّذِي] { أَي: هذه الدنيا، وهو ما يعرض لهم
منها. وقيل: سماه عرضاً، لقلة بقاءه. قال ابن عباس: يأخذون ما أحبوا من
حلال أو حرام. وقيل: هو الرشوة في الحكم. وفي وصفه بالأدنى قولان.
أحدهما: أنه من الدنو. والثاني: أنه من الدناءة.
قوله تعالى: {سَيُعْزَّرُ لَنَا} فيه قولان.
أحدهما: أن المعنى: إنا لا نؤاخذ، تمنياً على الله الباطل.
والثاني: أنه ذنب يغفره الله لنا، تأميلاً لرحمة الله تعالى.
وفي قوله: {وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ} قولان.
أحدهما: أن المعنى: لا يشبعهم شيء، فهم يأخذون لغير حاجة، قاله الحسن.
والثاني: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد.
قوله تعالى: {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ كِتَابٍ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} {
قال ابن عباس: وكذا الله عليهم في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الحق،
فقالوا الباطل، وهو ما أوجبوا على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها،
وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار.
قوله تعالى: {وَدَرَسُوا مَا فِيهِ} معطوف على {وَرثُوا}. ومعنى {الآيَاتِ مَا
فِيهِ}: قرؤوه، فكأنه قال: خالفوا على علم. {وَالَّذَارُ [الْآخِرَةُ] { أَي: ما فيها
من الثواب {حَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا * يَعْقِلُونَ} أن الباقي خير من الفاني. قرأ
ابن عامر، ونافع، وحفص عن عاصم: بالتاء، والباقون: بالياء.
{وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ}
قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ} قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر،
وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: {يُمَسِّكُونَ} مشددة، وقرؤوا: {وَلَا
تُمْسِكُوا بِعَصَمِ لِكُؤَافِرٍ} مخففة وقرأهما أبو عمرو بالتشديد. وروى أبو بكر
عن عاصم أنه خففهما. ويقال: مسكت بالشيء، وتمسكت به، واستمسكت
به، وامتمسكت به. وهذه الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب الذين حفظوا
حدوده ولم يجرؤوه، منهم عبد الله بن سلام وأصحابه. قال ابن الأنباري: وخبر
{الَّذِينَ}: {أَنَا} وما بعده، وله ضمير مقدر بعد {الْمُصْلِحِينَ} تأويله:
والذين يمسكون بالكتاب أنا لا نضيع أجر المصلحين منهم، ولهذه العلة وعدهم
حفظ الأجر بشرط، إذ كان منهم من لم يصلح. قال: وقال بعض النحويين:
المصلحون يرجعون على الذين، وتلخيص المعنى عنده: والذين يمسكون
بالكتاب، وأقاموا الصلاة، إنا لا نضيع أجرهم، فأظهرت كنايةهم بالمصلحين، كما

يقال: عليُّ لقيت الكسائي، وأبو سعيد رويت عن الخدري، يراد لقيته ورويت عنه. قال الشاعر:
فيارب ليلي أنت في كل موطن وأنت الذي في رحمة الله أطمع

أراد في رحمته، فأظهر ضمير الهاء.
{وَإِذْ تَتَقْنَا لَجَبَلٍ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَلُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ لَٰكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }
قوله تعالى: {وَإِذْ تَتَقْنَا لَجَبَلٍ فَوْقَهُمْ } أي: واذكر لهم إذ نتقنا الجبل، أي: رفعناه. قال مجاهد: أخرج الجبل من الأرض، وُرفِعَ فوقهم كالظلة، فقيل لهم: لتؤمنن أو ليقعن عليكم. وقال قتادة: نزلوا في أصل الجبل، فرفع فوقهم، فقال: لتأخذن أمري، أو لأرمينكم به.
قوله تعالى: {وَظَلُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ } فيه قولان.
أحدهما: أنه الظن المعروف. والثاني: أنه بمعنى اليقين. وباقي الآية مفسر في سورة {البقرة}.

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ لِقِيمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ }
قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ } روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {مِنْ * ظَهْرٍ * آدَمَ } - ونعمان قريب من عرفة - ذكره ابن قتيبة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنشرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً وقال: {أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ لِقِيمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ } ومعنى الآية: وإذا أخذ ربكم من ظهور بني آدم. فقوله: {مِنْ ظُهُورِهِمْ } يدل من {وَإِذْ أَخَذَ } . وقيل: إنما قال: {مِنْ ظُهُورِهِمْ } ولم يقل من ظهر آدم، لأنه أخرج بعضهم من ظهور بعض، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لأنه قد علم أنهم بنوه، وقد أخرجوا من ظهره.
وقوله تعالى: {ذرياتهم } قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي: {وَ أَلْبَعَثَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } على التوحيد. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: {ذرياتهم } على الجمع. قال أبو علي: الذرية تكون جمعاً، وتكون واحداً. وفي قوله: {ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ } ثلاثة أقوال.
أحدها: أشهدهم على أنفسهم باقرارهم، قاله مقاتل.
والثاني: دلهم بخلقه على توحيده، قاله الزجاج.
والثالث: أنه أشهد بعضهم على بعض باقرارهم بذلك، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: { أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ } والمعنى: وقال لهم: ألسنت بربكم؟ وهذا سؤال تقرير. قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا. قال السدي: قوله: { شَهِدْنَا } خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته. أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. ويحسن الوقف على قوله { بَلَى } لأن كلام الذرية قد انقطع. وزعم الكلبي ان الذرية لما قالت { بَلَى } قال الله للملائكة: { شَهِدُوا } فقالوا: { شَهِدْنَا }. وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: جمعهم جميعاً، فجعلهم أزواجاً، ثم صورهم، ثم استنطقهم، ثم قال: { أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا } أنك ألها. قال: فاني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم { أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ لِقِيَمَةِ إِيَّانَا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } لم نعلم بهذا. وقال السدي: أجابته طائفة طائعين، وطائفة كارهين تقية.

قوله تعالى: { أَنْ يَقُولُوا } قرأ أبو عمرو { أَنْ يَقُولُوا }، أو { يَقُولُوا } بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما. قال أبو علي: حجة أبي عمرو قوله: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ } وقوله: { قَالُوا بَلَى }، وحجة من قرأ بالتاء أنه قد جرى في الكلام خطاب { أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا }. ومعنى قوله: { يَقُولُوا } لئلا يقولوا، مثله: { أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ }. وفي قوله: { إِيَّانَا كُنَّا } قولان.

أحدهما: أنه إشارة إلى الميثاق والإقرار.

والثاني: أنه إشارة إلى معرفة أنه الخالق. قال المفسرون: وهذه الآية تذكير من الله تعالى بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق، واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفار: إنا كنا على هذا الميثاق غافلين لم نذكره، ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لسان النبي صلى الله عليه وسلم الصادق. وإذا ثبت هذا بقول الصادق، قام في النفوس مقام الذكر، فالاحتجاج

به قائم. { أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ }

قوله تعالى: { أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ } فاتبعنا منهاهم على جهل منا بالهيتك { أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } في دعواهم أن معك إلها، فقطع الله احتجاجهم بمثل هذا، إذ أذكرهم أخذ الميثاق على كل واحد منهم. وجماعة أهل العلم على ما شرحنا من أنه استنطق الذر، وركب فيهم عقولا وأفهاما عرفوا بها ما عرض عليهم. وقد ذكر بعضهم أن معنى أخذ الذرية: إخراجهم إلى الدنيا بعد كونهم نطفاً. ومعنى إظهارهم على أنفسهم: اضطرارهم إلى العلم بأنه خالقهم بما أظهر لهم من الآيات والبراهين. ولما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق،

كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته، كما قال: {شَهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ} يريدهم: بمنزلة الشاهدين، وإن لم يقولوا نحن كفر، كما يقول الرجل: قد شهدت جوارحي بصدقك، أي: قد عرفته. ومن هذا الباب قوله: {شَهِدَ اللَّهُ} أي: بين وأعلم. وقد حكى نحو هذا القول ابن الانباري، والأول أصح، لموافقة الآثار.

{وَكَذَلِكَ نَقُصُّ لآيَاتٍ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نَقُصُّ لآيَاتٍ} أي: كما بينا في أخذ الميثاق الآيات، ليتدبرها العباد فيعملوا بموجبها. {وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أي: ولكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر إلى التوحيد.

{وَأَنذَرْنَا نُبَأَ لَدِيءَاتِنَا فَاسْلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ} قوله تعالى: {وَأَنذَرْنَا نُبَأَ لَدِيءَاتِنَا فَاسْلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ}

قوله تعالى: {وَأَنذَرْنَا نُبَأَ لَدِيءَاتِنَا فَاسْلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ} قال الزجاج: هذا نسق على ما قبله، والمعنى: أتل عليهم إذ أخذ ربك، {وَأَنذَرْنَا نُبَأَ لَدِيءَاتِنَا} وفيه ستة أقوال. أحدها: أنه رجل من بني إسرائيل، يقال له: بلعم بن أبر، قاله ابن مسعود. وقال ابن عباس: بلعم بن باعوراء. وروي عنه: أنه بلعام بن باعور، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والسدي. وروي العوفي عن ابن عباس أن بلعما من أهل اليمن. وروي عنه ابن أبي طلحة أنه من مدينة الجبارين. والثاني: أنه أمية بن أبي الصلت، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وأبو روق، وزيد بن أسلم، وكان أمية قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسل رسولا، ورجا أن يكون هو، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم، حسده وكفر.

والثالث: أنه أبو عامر الراهب، روى الشعبي عن ابن عباس قال الأنصار: تقول هو الراهب الذي بني له مسجد الشقاق، وروي عن ابن المسيب نحوه. والرابع: أنه رجل كان في بني إسرائيل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن، وكانت له امرأة له منها ولد، وكانت سمجة دميمة، فقالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا الله لها، فلما علمت أنه ليس في بني إسرائيل مثلها، رغبت عن زوجها وأرادت غيره، فلما رغبت عنه، دعا الله أن يجعلها كلبية نباحة، فذهبت منه فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس بنا على هذا صبر أمنا كلبية نباحة يعيرنا الناس بها، فادع الله أن يردنا إلى الحال التي كانت عليها أولا، فدعا الله، فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات الثلاث، رواه عكرمة عن ابن عباس، والذي روي لنا في هذا الحديث {وَكَاثِتٍ} بكسر

الميم، وقد روى سيبويه عن العرب أنهم يقولون: رجل سَمَج: بتسكين الميم، ولم يقولوا: سَمَج؛ بكسرها.
والخامس: أنه المنافق، قاله الحسن.
والسادس: أنه كل من انسلخ من الحق بعد أن أعطيه من اليهود والنصارى والحنفاء، قاله عكرمة. وفي الآيات خمسة أقوال.
أحدها: أنه اسم الله الأعظم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير.
والثاني: أنها كتاب من كتب الله عز وجل. روى عكرمة عن ابن عباس قال: هو بلعام، أوتي كتابا فانسخ منه.
والثالث: أنه أوتي النبوة، فرشاه قومه على أن يسكت، ففعل وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد، وفيه بعد، لأن الله تعالى لا يصطفي لرسالته إلا معصوما عن مثل هذه الحال.
والرابع: أنها حجج التوحيد، وفهم أدلته.
والخامس: أنها العلم بكتب الله عز وجل، والمشهور في التفسير أنه بلعام، وكان من أمره على ما ذكره المفسرون أن موسى عليه السلام غزا البلد الذي هو فيه، وكانوا كفارا، وكان هو مجاب الدعوة، فقال ملكهم: ادع على موسى، فقال: إنه من أهل ديني ولا ينبغي لي أن أدعو عليه، فأمر الملك أن تنحت خشبة لصلبه، فلما رأى ذلك، خرج على أتان له ليدعو على موسى، فلما عاين عسكرهم، وقفت الأتان فضربها، فقالت: لم تضربني، وهذه نار تتوقد قد منعتني أن أمشي؟ فارجع، فرجع إلى الملك فأخبره، فقال: إما أن تدعو عليهم، وإما أن أصلبك، فدعا على موسى باسم الله الأعظم أن لا يدخل المدينة، فاستجاب الله له، فوقع موسى وقومه في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعم، فقال: يا رب فكما سمعت دعاءه علي، فاسمع دعائي عليه، فدعا الله أن ينزع منه الاسم الأعظم، فنزع منه. وقيل: إن بلعام أمر قومه أن يزينوا النساء ويرسلوهن في العسكر ليفشوا الزنا فيهم، فینصروا عليهم. وقيل: إن موسى قتله بعد ذلك. وروى السدي عن أشياخه أن بلعم أتى إلى قومه متبرعا، فقال: لا ترهبوا بني إسرائيل، فانكم إذا خرجتم لقتالهم، دعوت عليهم فهلكوا، فكان فيما شاء عندهم من الدنيا، وذلك بعد مضي الأربعين سنة التي تاهوا فيها، وكان نبیهم يوشع لا موسى.
قوله تعالى: {ءَايَاتِنَا فَاسْلَخْ مِنْهَا} أي: خرج من العلم بها.

قوله تعالى: { فَاتَّبَعَهُ } الشَّيْطَانُ { قال ابن قتيبة: أدركه. يقال: اتبعت القوم: إذا لحقتهم، وتبعتهم: سرت في أثرهم. وقرأ طلحة بن مصرف: { فَاتَّبَعَهُ } بالتشديد. وقال اليزيدي: أتبعه واتبعه: لغتان. وكان { اتَّبَعَهُ } خفيفة بمعنى: قفاه، واتبعه مشددة: حذا حذوه. ولا يجوز أن تقول: أتبعناك، وأنت تريد: اتَّبَعْنَاكَ، لأن معناها: اقتدينا بك. وقال الزجاج: يقال: تبع الرجل الشيء واتبعه بمعنى واحد. قال الله تعالى: { فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ } وقال: { فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ }. قوله تعالى: { فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ } فيه قولان. أحدهما: من الضالين، قاله مقاتل.

والثاني: من الهالكين الفاسدين، قاله الزجاج.

{ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِذَا تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ لِقَوْمٍ لَدِينٍ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَفُضِّصَ لِقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }

قوله تعالى: { وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا } في هاء الكناية في رفعناه قولان.

أحدهما: أنها تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قول الجمهور؛ فيكون المعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلة هذا الإنسان بما علمناه.

والثاني: أنها تعود إلى الكفر بالآيات، فيكون المعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بآياتنا، وهذا المعنى مروى عن مجاهد. وقال الزجاج: لو شئنا لحلنا بينه وبين المعصية.

قوله تعالى: { وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ } أي: ركن إلى الدنيا وسكن. قال

الزجاج: يقال: أخلد واخلد، والأول أكثر في اللغة. والأرض هاهنا: عبارة عن الدنيا، لأن الدنيا هي الأرض بما عليها. وفي معنى الكلام قولان.

أحدهما: أنه ركن إلى أهل الدنيا، ويقال: إنه أرضى امرأته بذلك، لأنها حملته عليه، وقيل: أرضى بني عمه وقومه.

والثاني: أنه ركن إلى شهوات الدنيا، وقد بين ذلك بقوله: { وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } والمعنى: أنه انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع قومه.

وهذه الآية من أشد الآيات علي أهل العلم إذ مالوا عن العلم إلى الهوى.

قوله تعالى: { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِذَا تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ } معناه:

أن هذا الكافر، إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب، فانه إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثا، وإن ترك وربض

كان أيضا لاهثا، والتشبيه بالكلب اللاهث خاصة؛ فالمعنى: فمثله كمثل الكلب

لاهثا، وإنما شبهه بالكلب اللاهث، لأنه أخس الأمثال على أخس الحالات

وأبشعها. وقال ابن قتيبة: كل لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب

فانه يلهث في حال راحته وحال كلاله، فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث، أو تركته على حاله رابضا لهث. قال المفسرون: رُجِرَ في منامه عن الدعاء على بني اسرائيل فلم ينزجر، وخاطبته إتانه فلم ينته، فضرب له هذا المثل ولسائر الكفار؛ فذلك قوله: {ذَلِكَ مَثَلُ لِقَوْمٍ لَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} لأن الكافر إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال، وهو مع إرسال الرسل إليه كمن لم يأته رسول ولا بينة.

قوله تعالى: {وَقُضِيَ لِقَاصِمٍ} قال عطاء: قصص الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم.

{سَاءَ مَثَلًا لِقَوْمٍ لَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ} * مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ لِمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

قوله تعالى: {سَاءَ مَثَلًا} يقال: ساء الشيء يسوء؛ إذا قبح، والمعنى: ساء مثلا مثل القوم، فحذف المضاف، فنُصب {مَثَلًا} على التمييز.

قوله تعالى: {وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ} أي: يضرون بالمعصية. {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِطْمِ بَلْ هُمْ أَصَلُّ أُولَئِكَ هُمْ لَعَالُونَ}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا} أي: خلقنا. قال ابن قتيبة: ومنه ذرية الرجل، إنما هي الخلق منه، ولكن همزها يتركه أكثر العرب.

قوله تعالى: {لِجَهَنَّمَ} هذه اللام يسميها بعض أهل المعاني لام العاقبة، كقوله: {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} ومثله قول الشاعر:
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعزيه بموت ابنه، فقال:
تعز أمير المؤمنين فإنه لما قد ترى يغذى الصغير ويولد

وقد أخبر الله عز وجل في هذه الآية بنفاذ علمه فيهم أنهم يصيرون إليها بسبب كفرهم.

قوله تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا} لما أعرض القوم عن الحق والتفكر فيه، كانوا بمنزلة من لم يفقه ولم يبصر ولم يسمع. وقال محمد بن القاسم النحوي: أراد بهذا كله أمر الآخرة، فانهم يعقلون أمر الدنيا.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ} شبههم بالأنعام لأنها تسمع وتبصر، ولا تعتبر، ثم قال: {بَلْ هُمْ أَصْلٌ} لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها، فتلزم بعض ما تبصره، وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه معاند، فيقدم على النار، {أُولَئِكَ هُمُ اللَّعْفُونَ} {عَنِ أَمْرِ الْآخِرَةِ}.
{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَدَعَا بِهَا وَذَرَوْا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} سبب نزولها: أن رجلاً دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله هذه الآية، قاله مقاتل: فأما الحسنى، فهي تأنيث الأحسن. ومعنى الآية أن أسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن. وذكر الماوردي أن المراد بذلك ما مالت إليه النفوس من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنقمة. وقوله: {وَدَعَا بِهَا} أي: نادوه بها، كقولك: يا الله يا رحمن.

قوله تعالى: {وَذَرَوْا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: {يُلْحِدُونَ} بضم الياء، وكذلك في {النَّحْلِ} و{السجدة}. وقرأ حمزة: {لَّذِينَ يُلْحِدُونَ} بفتح الحاء والياء فيهن، ووافقه الكسائي، وخلف في {النَّحْلِ}. قال الاخفش: ألحد ولحد: لغتان، فمن قرأ بهما أراد الأخذ باللغتين، فكان الإلحاد: العدول عن الاستقامة، وقال ابن قتيبة: يجورون عن الحق ويعدلون؛ [فيقولون اللات والعزى ومناة وأشباه ذلك] ومنه لحد القبر، لأنه في جانب. قال الزجاج: ولا ينبغي لأحد أن يدعو بما لم يسم به نفسه، فيقول: يا جواد، ولا يقول: يا سخي، ويقول: يا قوي، ولا يقول: يا جلد، ويقول: يا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، لأنه لم يصف نفسه بذلك. قال أبو سليمان الخطابي: ودليل هذه الآية أن الغلط في أسماءه والزيغ عنها إلحاد، ومما يسمع على السنة العامة قولهم: يا سبحان، يا برهان، وهذا مهجور مستهجن لا قدوة فيه، وربما قال بعضهم: يا رب طه ويس. وقد أنكر ابن عباس على رجل قال: يا رب القرآن. وروي عن ابن عباس أن إلحادهم في أسماءهم أنهم سموها بها أوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

فصل

والجمهور على أن هذه الآية محكمة، لأنها خارجة مخرج التهديد، كقوله: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} {74، 11} وقد ذهب بعضهم إلى أنها منسوخة

بآية القتال، لأن قوله: { وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ } يقتضي الإعراض عن الكفار، وهذا قول ابن زيد.

{ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } قوله تعالى: { وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ } أي: يعملون به، { وَبِهِ يَعْدِلُونَ } أي: وبالعمل به يعدلون. وفيمن أريد بهذه الآية أربعة أقوال.

أحدها: أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان من هذه الأمة، قاله ابن عباس. وكان ابن جريج: يقول: ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { هَذِهِ } وقال قتادة: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تلا هذه الآية قال: { هَذِهِ * لَكُمْ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِذَا تَلَا هَذِهِ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }.

والثاني: أنهم من جميع الخلق، قاله ابن السائب. والثالث: أنهم الأنبياء. والرابع: أنهم العلماء. ذكر القولين الجاوردى. { وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ }

قوله تعالى: { وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } قال أبو صالح عن ابن عباس: هم أهل مكة. وقال مقاتل: نزلت في المستهزئين من قريش.

قوله تعالى: { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ } قال الخليل بن أحمد: سنطوي أعمارهم في اغترار منهم. وقال أبو عبيدة: الاستدراج: أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلا قليلا ولا يهجم عليه، وأصله: من الدرّجة، وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مرقاة مرقاة؛ ومنه: درّج الكتاب: إذا طواه شيئا بعد شيء؛ ودرج القوم: إذا ماتوا بعضهم في أثر بعض. وقال اليزيدي: الاستدراج: أن يأتيه من حيث لا يعلم. وقال ابن قتيبة: هو أن يذيقهم من بأسه قليلا قليلا من حيث لا يعلمون، ولا يباغتهم به ولا يجاهرهم. وقال الأزهري: سناخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغتبطهم به ويركنون إليه، ثم يأخذهم على غرتهم أغفل ما يكونون. قال الضحاك: كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة.

وفي قوله: { مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ } قولان.

أحدهما: من حيث لا يعلمون بالاستدراج. والثاني: بالهلكة.

قوله تعالى: { وَأُمْلِي لَهُمْ } الإملاء: الإمهال والتأخير.

قوله تعالى: { إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ } قال ابن عباس: إن مكري شديد. وقال ابن فارس: الكيد: المكر؛ فكل شيء عالجه فأنت تكيده. قال المفسرون: مكر

الله وكيده: مجازاة أهل المكر والكيد على نحو ما بينا في سورة {البقرة} و{عَالَ عَمْرَانَ} من ذكر الاستهزاء والخداع والمكر. {أَوْلَمْ يَتَّفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّا هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ مَّيِّبٌ * أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ فُتِّرَبَ أَجْلُهُمْ قِيَائٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ * مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}

قوله تعالى: {أَوْلَمْ يَتَّفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ} سبب نزولها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، علا على الصفا ليلة، ودعا قريشا فخذا فخذا: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، فحذرهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت حتى الصباح، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، وقتادة. ومعنى الآية: أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة، أي: جنون، فحثهم على التفكير في أمره ليعلموا أنه بريء من الجنون. {إِن هُوَ} أي: ما هو {إِلَّا تَذِيرٌ} أي: مخوف {مَّيِّبٌ} {بَيْنَ طَرِيقِ الْهُدَى}. ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال: {أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ} {لِيَسْتَدْلُوا عَلَىٰ أَنْ لَهَا صَانَعًا مَدْبِرًا؛ وقد سبق بيان الملكوت في سورة الأنعام.

قوله تعالى: {وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ فُتِّرَبَ أَجْلُهُمْ} قرأ ابن مسعود، وأبي والجدري: {أَجَالَهُمْ}. ومعنى الآية: أولم ينظروا في الملكوت وفيما خلق الله من الأشياء كلها، وفي أن عسى أن تكون آجالهم قد قربت فيهلكوا على الكفر، ويصيروا إلى النار {أَجْلُهُمْ قِيَائٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} يعني القرآن وما فيه من البيان. ثم ذكر سبب إعراضهم عن الإيمان، فقال: {مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ} قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: {وَيَذَرُهُمْ} بالنون والرفع. وقرأ أبو عمرو: بالياء والرفع. وقرأ حمزة، والكسائي: {وَيَذَرُهُمْ} بالياء مع الجزم خفيفة. فمن قرأ بالرفع، استأنف، ومن جزم {وَيَذَرُهُمْ} عطف على موضع الفاء. قال سيبويه: وموضعها جزم؛ فالمعنى: من يضل الله يذره؛ وقد سبق في سورة {البقرة} معنى الطغيان والعمه.

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فُلَهُ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا فَلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ} في سبب نزولها قولان.

أحدهما: أن قوما من اليهود قالوا: يا محمد، أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

والثاني: أن قريشا قالت: يا محمد، بيننا وبينك قرابة، فبين لنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. وقال عروة: الذي سأله عن الساعة عتبة بن ربيعة. والمراد بالساعة هاهنا: التي يموت فيها الخلق.

قوله تعالى: {أَيَّانَ مُرْسَاهَا} قال أبو عبيدة: أي: متى مرساها؟ أي: منتهاها. ومرسا السفينة: حيث تنتهي. وقال ابن قتيبة: {أَيَّانَ}: بمعنى: {مَتَى}; ومتى بمعنى: أي حين، ونرى أن أصلها أيّ أوان، فحذفت الهمزة [والواو]، وجعل الحرفان واحدا، ومعنى الآية: متى ثبوتها؟ يقال: رسا في الأرض، أي: ثبت، ومنه قيل للجبال: رواسي. قال الزجاج: ومعنى الكلام: متى وقوعها؟ قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهُا عِنْدَ رَبِّي} أي: قد استأثر بعلمها {لَا يُجَلِّيهَا} أي: لا يظهرها في وقتها {إِلَّا هُوَ}.

قوله تعالى: {ثَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} فيه أربعة أقوال. أحدها: ثقل وقوعها على أهل السموات والأرض، قاله ابن عباس، ووجهه أن الكل يخافونها، محسنهم ومسيئهم.

والثاني: عظم شأنها في السموات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وابن جريج.

والثالث: خفي أمرها، فلم يعلم متى كونها، قاله السدي. والرابع: أن {فِي} بمعنى {عَلَى} فالمعنى: ثقلت على السموات والأرض، قاله قتادة.

قوله تعالى: {لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً} أي: فجأة. قوله تعالى: {كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا} فيه أربعة أقوال.

أحدها: أنه من المقدم والمؤخر، فتقديره: يسألونك عنها كأنك حفي، أي: بر بهم، كقولهم: {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}. قال العوفي عن ابن عباس، وأسباط عن السدي: كأنك صديق لهم.

والثاني: كأنك حفي بسؤالهم، مجيب لهم. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: كأنك يعجبك سؤالهم. وقال خصيف عن مجاهد: كأنك تحب أن يسألوك عنها. وقال الزجاج: كأنك فرح بسؤالهم.

والثالث: كأنك عالم بها، قاله الضحاك عن ابن عباس، وهو قول ابن زيد، والفراء.

والرابع: كأنك استحفيت السؤال عنها حتى علمتها، قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد. وقال عكرمة: كأنك سؤول عنها. وقال ابن قتيبة: كأنك معني بطلب علمها. وقال ابن الأنباري: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بها، والحفي في كلام العرب: بالمعني.

قوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ } أي: لا يعلمها إلا هو { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } قال مقاتل في آخرين: المراد بالناس هاهنا: أهل مكة. وفي قوله: { لَا يَعْلَمُونَ } قولان. أحدهما: لا يعلمون أنها كائنة، قاله مقاتل. والثاني: لا يعلمون أن هذا مما استأثر الله بعلمه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ لَعَيَّبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنْ لِحْيَرٍ وَمَا مَسَّنِي السُّؤُؤُ إِلَّا تَذِيْرٌ وَبَشِيْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } قوله تعالى: { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا } سبب نزولها: أن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يعلو، فتشتري فتربح، وبالأرض التي تريد أن تجذب، فترتحل عنها إلى ما قد أخصب؟ فنزلت هذه الآية، روي عن ابن عباس. وفي المراد بالنفع والضر قولان. أحدهما: أنه عام في جميع ما ينفع ويضر، قاله الجمهور. والثاني: أن النفع: الهدى، والضر: الضلالة، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: { إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } أي: إلا ما أراد أن أملكه بتمليكه إياي؛ ومن هو على هذه الصفة فكيف يعلم علم الساعة؟

قوله تعالى: { وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ لَعَيَّبَ } فيه أربعة أقوال. أحدها: لو كنت أعلم بجذب الأرض وقحط المطر قبل كون ذلك لهيات لسنة الجذب ما يكفيها، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: لو كنت أعلم ما أربح فيه إذا اشتريته لاستكثرت من الخير، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح، قاله مجاهد.

والرابع: لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لأجبت عنه. { وَمَا مَسَّنِي السُّؤُؤُ } أي: لم يلحقني تكذيب، قاله الزجاج. فأما الغيب: فهو كل ما غاب عنك. ويخرج في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه العمل الصالح. والثاني: المال. والثالث: الرزق.

قوله تعالى: { وَمَا مَسَّنِي السُّؤُؤُ } فيه أربعة أقوال.

أحدها: أنه الفقر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كل ما يسوء، قاله ابن زيد.

والثالث: الجنون، قاله الحسن. والرابع: التكذيب، قاله الزجاج. فعلى قول

الحسن، يكون هذا الكلام مبتدأ، والمعنى: وما بي من جنون إنما أنا نذير، وعلى باقي الأقوال يكون متعلقا بما قبله.

{هُوَ لِذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَاوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا لِّتَكُونَنَّ مِنَّا الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }

قوله تعالى: {هُوَ لِذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَجِدَةٍ} يعني بالنفس: آدم، وبزوجها: حواء. ومعنى: {لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} لِيَأْنَسَ بِهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا. {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} أي: جامعها. قال الزجاج: وهذا أحسن كناية عن الجماع. والحمل، بفتح الحاء: ما كان في بطن، أو أخرجته شجرة. والحمل، بكسر الحاء: ما يُحْمَل. والمراد بالحمل الخفيف: الماء.

قوله تعالى: {فَمَرَّتْ بِهِ} أي: استمرت به، قعدت وقامت ولم يُثْقَلْها. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وابن عباس، والضحاك: {تُحَرِّكُ بِهِ}. وقرأ أبي بن كعب، والجوني: {تُحَرِّكُ بِهِ} بزيادة ألف. وقرأ عبد الله ابن عمرو، والجحدري: {فَمَارَّتْ} به بألف وتشديد الراء. وقرأ أبو العالية، وإيوب، ويحيى بن يعمر: {خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ} خفيفة الراء، أي: شككت وتمارت أحملت، أم لا؟ {فَلَمَّا أَثْقَلتْ} أي: صار حملها ثقيلًا. وقال الأخفش: صارت ذا ثقل. يقال: أثمرنا، أي: صرنا ذوي ثمر.

قوله تعالى: {دَعَاوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا} يعني آدم وحواء {لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا} وفي المراد بالصالح قولان.

أحدهما: أنه الإنسان المشابه لهما، وخافا أن يكون بهيمة، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه الغلام، قاله الحسن، وقتادة.

شرح السبب في دعائهما

ذكر أهل التفسير أن إبليس جاء حواء، فقال: ما يدريك ما في بطنك، لعله كلب أو خنزير أو حمار؛ وما يدريك من أين يخرج، ايشق بطنك أم يخرج من فيك، أو من منخريك؟ فاحزنها ذلك، فدعوا الله حينئذ، فجاء إبليس: فقال: كيف تجدنيك؟ قالت: ما أستطيع القيام إذا قعدت، قال: أفرأيت إن دعوت الله، فجعله إنسانا مثلك، ومثل آدم، أتسمينه باسمي؟ قالت: نعم. فلما ولدته سويا، جاءها إبليس فقال: لم لا تسمينه بي كما وعدتني؟ فقالت:

وما اسمك؟ قال: الحارث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فسمته: عبد الحارث، وقيل: عبد شمس برضى آدم، فذلك قوله: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ} قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي،

وحفص عن عاصم: { شُرَكَاء } بضم الشين والمد، جمع شريك. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: { شِرْكَاء } مكسورة. الشين على المصدر، لا على الجمع. قال أبو علي: من قرأ { شِرْكَاء } حذف المضاف، كأنه أراد: جعل له ذا شرك، وذوي شريك؛ فيكون المعنى: جعل لغيره شركا، لأنه إذا كان التقدير: جعل له ذوي شرك، فالمعنى: جعل لغيره شركا، وهذه القراءة في المعنى كقراءة من قرأ { أَلِلِّهِ شُرَكَاءٌ } . وقال غيره: معنى شركاء: شريكا فأوقع الجمع موقع الواحد كقوله: { لِذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ } والمراد بالشريك: إبليس، لأنهما أطاعاه في الاسم، فكان الشرك في الطاعة، لا في العبادة؛ ولم.

يقصدا أن الحارث ربهما، لكن قصدا أنه سبب نجاة ولدهما؛ وقد يطلق العبد على من ليس بمملوك. قال الشاعر:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما في إلاتك من شيمة العبد
وقال مجاهد: كان لا يعيش لآدم ولد، فقال الشيطان: إذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحارث، فأطاعاه في الاسم، فذلك قوله: { جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا } هذا قول الجمهور، وفيه قول ثان، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أشرك آدم، إن أول الآية لشكر، وآخرها مثل ضربه الله لمن يعبده في قوله: { جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا } . وروى قتادة عن الحسن قال: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادا فهو دودهم ونصروهم. وروي عن الحسن، وكتادة قالا: الضمير في قوله: { جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ } عائد إلى النفس وزوجه من ولد آدم، لا إلى آدم وحواء. وقيل: الضمير راجع إلى الولد الصالح، وهو السليم الخلق، فالمعنى: جعل له ذلك الولد شركاء. وإنما قيل: { جَعَلَا } لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى. قال ابن الأنباري: الذين جعلوا له شركاء: اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء. فتأويل الآية: فلما أتاهما صالحا جعل أولادهما له شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما قال: { يَوْمَ سُبُلُ لِقَائِهِ } . وذهب السدي إلى أن قوله: { فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } في مشركي العرب خاصة، وأنها مفصولة عن قصة آدم وحواء.

{ أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ }

قوله تعالى: { أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا } قال ابن زيد: هذه لآدم وحواء حيث سميا ولدهما عبد شمس، والشمس لا تخلق شيئا. وقال غيره: هذا راجع إلى الكفار حيث أشركوا بالله الاصنام، وهي لا تخلق شيئا وقوله: { وَهُمْ يُخْلِقُونَ } أي: وهي مخلوقة. قال ابن الأنباري: وإنما قال: { مَا } ثم قال: { وَهُمْ يُخْلِقُونَ }

{ لَأَن { مَا } تَقَعُ عَلَيَّ الْوَاحِدَ وَالْآثِنِينَ وَالْجَمِيعَ؛ وَإِنَّمَا قَالَ: { وَهُمْ } وَهُوَ يَعْنِي الْأَصْنَامَ، لِأَنَّ عَابِدِيهَا أَدْعَوُا أَنَّهَا تَعْقِلُ وَتَمَيِّزُ، فَأَجْرِيَتْ مَجْرَى النَّاسِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: { رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } وَقَوْلِهِ { يَا أَيُّهَا النَّمْلُ لَأَخْلُوا مَسَكِنَتِكُمْ } وَقَوْلِهِ: { وَكُلٌّ فِي فِئَةٍ يَسْبَحُونَ } قَالَ الشَّاعِرُ:
تمزرتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

وَأَنشَدَ ثَعْلَبٌ لِعَبْدَةَ بْنِ الطَّيِّبِ:
إِذَا شَرَفَ الدِّيكُ يَدْعُو بَعْضَ أَسْرَتِهِ لَدَى الصَّبَاحِ وَهُمْ قَوْمٌ مَعَارِيزِلُ

لَمَا جَعَلَهُ يَدْعُو، جَعَلَ الدِّيكَ قَوْمًا، وَجَعَلَهُمْ مَعَارِيزِلًا، وَهُمْ الَّذِينَ لَا سِلَاحَ مَعَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَسْرَةً، وَأَسْرَةُ الرَّجُلِ: رَهْطُهُ وَقَوْمُهُ.
{ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ }
قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا } يَقُولُ: إِنْ الْأَصْنَامَ لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَ مَنْ عِبَدَهَا، وَلَا تَمْنَعُ مِنْ نَفْسِهَا.
{ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ }
{

قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَإِنْ تَدْعُوهُمْ } فِيهِ قَوْلَانِ.
أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْأَصْنَامِ، فَالْمَعْنَى: وَإِنْ دَعَوْتُمْ أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ أَصْنَامَكُمْ إِلَى سَبِيلِ رِشَادٍ لَا يَتَّبِعُوكُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْكُفَّارِ، فَالْمَعْنَى: وَإِنْ تَدْعُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ إِلَى الْهُدَى، لَا يَتَّبِعُوكُمْ، فَدَعَاؤُكُمْ إِيَّاهُمْ وَصَمْتُكُمْ عَنْهُمْ سِوَاءَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَنْقَادُونَ إِلَى الْحَقِّ. وَقَرَأَ نَافِعٌ: { لَا يَتَّبِعُوكُمْ } يَسْكُونُ التَّاءَ.

{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَكُمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ لَّعَنُوا شُرَكَاءَ كُمْ تَمَّ كَيْدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ * إِنَّ وِلِيَّيَ اللَّهِ الَّذِي تَزَلَّ لِكِتَابٍ وَهُوَ يَنْتَوِي الصَّالِحِينَ }
قَوْلُهُ تَعَالَى: { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } يَعْنِي الْأَصْنَامَ { عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ } فِي أَنْهُمْ مَسْخَرُونَ مَذَلَّلُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ. وَإِنَّمَا قَالَ { عِبَادٌ } وَقَالَ: { وَ لَأَعُوهُمْ }، وَإِنْ كَانَتْ الْأَصْنَامُ جَمَادًا، لَمَا بَيْنَا عِنْدَ قَوْلِهِ: { وَهُمْ يُخْلَقُونَ }.

قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَلَيْسَتْ حَبِيبًا لَكُمْ } أَيُّ: فَلْيَجِيبُوكُمْ { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } أَنْ لَكُنْ عِنْدَهُمْ نَفْعًا وَثَوَابًا. { أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا } فِي الْمَصَالِحِ { أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا } فِي دَفْعِ مَا يُؤْذِي. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ { يَبْطِشُونَ } بِضَمِّ الطَّاءِ

ها هنا وفي { لَقَّصَّصَ } و { الدخان } . { أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا } المنافع من المضار { أَمْ لَهُمْ آدَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } تضرعكم ودعاءكم؟ وفي هذا تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين، وتوبيخ لهم حيث عبدوا من هم أفضل منه. { قُلِ لِّعُلُوِّ شُرَكَاءِكُمْ } قال الحسن: كانوا يخوفونه بالهتهم، فقال الله تعالى: { قُلِ لِّعُلُوِّ شُرَكَاءِكُمْ }، { ثُمَّ } أنتم وهم { كِيدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ } أي: لا تؤخروا ذلك. وكان ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، يقرؤون: { ثُمَّ كِيدُونَ } بغير ياء في الوصل والوقف. وروى ورث، وقالون، والمسبيبي: بغير ياء في الوصل، ولا وقف. فأما { تَنْظُرُونَ } فأثبت فيها الياء يعقوب في الوصل والوقف. { إِنَّ وِلِيَّ اللَّهِ } أي: نصري { لِيَذِي تَرْزَلًا لِكِتَابٍ } وهو القرآن، أي كما أيديني بأنزال الكتاب ينصرتني.

{ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَلِيعُونَ تَضْرِكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ } قوله تعالى: { وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ } يعني الأصنام { لَا يَسْتَلِيعُونَ تَضْرِكُمْ } أي: لا يقدرُونَ على منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يمنعون أنفسهم من سوء أريد بهم.

{ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } قوله تعالى: { وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا } في المراد بهؤلاء قولان. أحدهما: أنهم الأصنام. ثم في قوله: { وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ } قولان. أحدهما: يواجهونك، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك، { وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } لأنه ليس فيهم أرواح. والثاني: وتراهم كأنهم ينظرون إليك، لأن لهم أعينا مصنوعة، فأسقط كاف التشبيه، كقوله: { وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى } أي: كأنهم سكارى، { وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } في الحقيقة. وإنما أخبر عنهم بالهاء والميم، لأنهم على هيئة بني آدم.

والقول الثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وتراهم ينظرون إليك بأعينهم ولا يبصرون بقلوبهم.

{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }

قوله تعالى: { خُذِ الْعَفْوَ } العفو الميسور، وقد سبق شرحه في سورة { البقرة }. وفي الذي أمر بأخذ العفو منه ثلاثة اقوال.

أحدها: أخلاق الناس، قاله ابن الزبير، والحسن، ومجاهد. فيكون المعنى: إقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم فتظهر منهم البغضاء.

والثاني: أنه المال، وفيه قولان. أحدهما: أن المراد بعفو المال: الزكاة، قاله مجاهد في رواية الضحاك. والثاني: أنها صدقة كانت تؤخذ قبل فرض الزكاة، ثم نسخت بالزكاة، روي عن ابن عباس. والثالث: أن المراد به: مساهلة المشركين والعفو عنهم، ثم نسخ بآية السيف، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} أي: بالمعروف.

وفي قوله: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} قولان.

أحدهما: أنهم المشركون، أمر بالإعراض عنهم، ثم نسخ ذلك بآية السيف. والثاني: أنه عام فيمن جهل، أمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفههم، وإن وجب عليه الإنكار عليهم. وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة، وعند بعضهم أن وسطها محكم، وطرفيها منسوخان على ما بينا.

{وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ} قال ابن زيد: لما نزلت {خُذِ

لِعَفْوٍ} قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا رب كيف بالغضب؟ فنزلت هذه الآية. فأما قوله {وَأَمَّا} فقد سبق بيانه في سورة {البقرة} في قوله: {قَائِمًا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي * هُدًى}، وقال أبو عبيدة: ومجاز الكلام: وإما تستخفك منه خفة وغضب وعجلة. وقال السدي: النزغ: الوسوسة وحديث النفس. قال الزجاج: النزغ: أدنى حركة تكون، تقول: قد نزغته: إذا حرركته. وقد سبق معنى الاستعانة.

قوله تعالى: {إِذَا مَسَّهُمْ} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: {طيف} بغير ألف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: {عَلَيْهَا طَائِفٌ} بألف ممدودا مهموزا. وقرأ ابن عباس، وابن جبير، والجحدري، والضحاك: {طَيْفٌ} بتشديد الياء من غير ألف. وهل الطائف والطيف بمعنى واحد، أم يختلفان، فيه قولان. أحدهما: أنهما بمعنى واحد، وهما ما كان كالخيال والشيء يلم بك، حكى عن الفراء. وقال الأخفش: الطيف أكثر في كلام العرب من الطائف، قال الشاعر: لا بالقوم لطيف الخيال أرق من نازح ذي دلال

والثاني: أن الطائف: ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللمة والوسوسة والخطر، حكى عن أبي عمرو وروي عن ابن عباس أنه قال: الطائف: اللمة من الشيطان، والطيف: الغضب. وقال ابن الأنباري: الطائف: الفاعل من الطيف؛ والطيف عند أهل اللغة: اللمم من الشيطان؛ وزعم مجاهد أنه: الغضب.

قوله تعالى: {الشَّيْطَانُ تَذَكَّرُوا} فيه ثلاثة أقوال.
أحدها: تذكروا الله إذا هموا بالمعاصي فتركوها، قاله مجاهد.
والثاني: تفكروا فيما أوحى الله لهم من الحجة، قاله الزجاج.
والثالث: تذكروا غضب الله، والمعنى: إذا جرائهم الشيطان على ما لا يحل،
تذكروا غضب الله، فأمسكوا، فإذا هم مبصرون لمواضع الخطأ بالتفكير.
{وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي لَعْنَةٍ تُمْ لَا يُقْصِرُونَ}
قوله تعالى: {وَإِخْوَانُهُمْ} في هذه الهاء والميم قولان.
أحدهما: أنها عائدة على المشركين؛ فتكون هذه الآية مقدمة على التي قبلها،
والتقدير: وأعرض عن الجاهلين، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين. {يَمُدُّوهُمْ
فِي لَعْنَةٍ} قرأ نافع: {يَمُدُّوهُمْ} بضم الياء وكسر الميم. والباقون: بفتح
الياء وضم الميم. قال أبو علي: عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمى ويستحب:
أمددت، على أفعلت كقوله: {أَمْدَدْتَنِي مَالًا} {أَمَّا تُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ}
{وَأَمْدَدْتَهُمْ بِفِكَهَةٍ} وما كان على خلافه يجيء على: مددت، كقوله:
{وَيَمُدُّهُمْ فِي طَغْيِنِهِمْ}؛ فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء؛ إلا أن وجه قراءة
نافع بمنزلة {فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} قال المفسرون: {يَمُدُّوهُمْ فِي لَعْنَةٍ}
أي: يزينونه لهم، ويريدون منهم لزومه، فيكون معنى الكلام: أن الذين اتقوا إذا
جرهم الشيطان إلى خطيئة، تابوا منها، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين،
يمدونهم في الغي، هذا قول الأكثرين من العلماء. وقال بعضهم: الهاء والميم
ترجع إلى الشياطين، وقد جرى ذكرهم لقوله: {مَنْ الشَّيْطَانُ} فالمعنى:
وإخوان الشياطين يمدونهم.
والثاني: أن الهاء والميم ترجع إلى المتقين؛ فالمعنى: وإخوان المتقين من
المشركين، وقيل: من الشياطين يمدونهم في الغي، أي: يريدون من
المسلمين أن يدخلوا معهم في الكفر، ذكر هذا القول جماعة منهم ابن
الانباري. فان قيل: كيف قال: {وَإِخْوَانُهُمْ} وليسوا على دينهم؟ فالجواب: أنا
إن قلنا: إنهم المشركون، فجائز أن يكونوا إخوانهم في النسب أو في كونهم
من بني آدم، أو لكونهم يظهرون النصح للإخوان؛ وإن قلنا: إنهم الشياطين،
فجائز أن يكونوا لكونهم مصاحبين لهم، والقول الأول أصح.
قوله تعالى: {تُمْ لَا يُقْصِرُونَ} وقرأ الزهري، وابن أبي عمير: {لَا يُقْصِرُونَ}
بالتشديد. قال الزجاج: يقال: أقصر يقصر، وقصر يقصر. قال ابن عباس: لا
الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تقصر عنهم؛ فعلى
هذا يكون قوله: {يُقْصِرُونَ} من فعل الفريقين، وهذا على القول المشهور؛
ويخرج على القول الثاني أن يكون هذا وصفا للإخوان فقط.

{ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا جُئِيتُهُمْ بِقُرْآنٍ مِّن رَّبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }
قوله تعالى: { وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ } يعني به: المشركين. وفي معنى الكلام قولان.

أحدهما: إذا لم تأتهم بآية سألوها تعنتا، قاله ابن السائب.
والثاني: إذا لم تأتهم بآية لإبطاء الوحي، قاله مقاتل.
وفي قوله: { لَوْلَا جُئِيتُهُمْ } قولان.

أحدهما: هلا افتعلتها من تلقاء نفسك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين. وحكي عن الفراء أنه قال: العرب تقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته: إذا افتعلته من قبل نفسك.

والثاني: هلا طلبتها لنا قبل مسألتك، ذكره الماوردي. والأول أصح.
قوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ بِآيَاتِي لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }
قوله تعالى: { هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ } يعني: القرآن. قال أبو عبيدة: البصائر: بمعنى الحجج والبرهان والبيان واحدها: بصيرة. وقال الزجاج: معنى البصائر: ظهور الشيء وبيانه.

{ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }
قوله تعالى: { وَإِذَا * قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ } اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال.

أحدها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة المكتوبة، فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.
والثاني: أن المشركين كانوا يأتون رسول الله إذا صلى، فيقول: بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب.

والثالث: أن فتى من الأنصار كان كلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً، قرأ هو فنزلت هذه الآية، قاله الزهري.

والرابع: أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما فرضت، فيجاء الرجل فيقول لصاحبه: كم صليتم؟ فيقول: كذا وكذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة.

والخامس: أنها نزلت تأمر بالإنصات للامام في الخطبة يوم الجمعة، روي عن عائشة، وسعيد بن جبير، وعطاء، ومجاهد، وعمرو بن دينار، في آخرين.
{ وَ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِّنْ عَشْرَةِ نَسِيبٍ فَسَمِعَتْهَا نِسْوَائُهُمْ عَوْنًا وَرِجْسًا فِي السَّاعَةِ فَأَنجَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ }
{ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ }

قوله تعالى: { وَ لُكِّرَ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ } في هذا الذكر أربعة اقوال.
أحدها: أنه القراءة في الصلاة، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا، أمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار.
والثاني: أنه القراءة خلف الإمام سرا في نفسه، قاله قتادة.
والثالث: أنه ذكر الله باللسان.
والرابع: أنه ذكر الله باستدامة الفكر، لا يغفل عن الله تعالى، ذكر القولين الماوردي. وفي المخاطب بهذا الذكر قولان.
أحدهما: أنه المستمع للقرآن، إما في الصلاة، وإما من الخطيب، قاله ابن زيد.
والثاني: أنه خطاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومعناه عام في جميع المكلفين.
قوله تعالى: { تَضَرَّعًا وَخِيفَةً } التضرع: الخشوع في تواضع، والخيفة: الحذر من عقابه.
قوله تعالى: { وَدُونَ لُجْهَرٍ مِّنَ الْقَوْلِ } الجهر: الإعلان بالشيء، ورجل جهير الصوت: إذا كان صوته عاليًا. وفي هذا نص على أنه الذكر باللسان ويحتمل وجهين.
أحدهما: قراءة القرآن. والثاني: الدعاء. وكلاهما مندوب إلى إخفائه، إلا أن صلاة الجهر قد بين أدبها في قوله: { وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا } فأما الغدو فهو جمع غدوة؛ والآصال: جمع أصل، والآصل: جمع؛ أصيل؛ فالآصال: جمع الجمع، والآصال: العشيات. وقال أبو عبيدة: هي ما بين العصر إلى المغرب؛ وأنشد:
لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل
وروي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالغدو: صلاة الفجر، والآصال: صلاة العصر.
{ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ }
قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ } يعني: الملائكة { لَا يَسْتَكْبِرُونَ } أي: لا يتكبرون ويتعظمون { عَنْ عِبَادَتِهِ } وفي هذه العبادة قولان.
أحدهما: الطاعة. والثاني: الصلاة والخضوع فيها.
وفي قوله: { وَيُسَبِّحُونَهُ } قولان.
أحدهما: ينزهونه عن السوء.
والثاني: يقولون سبحان الله.

قوله تعالى: {وَلَهُ يَسْجُدُونَ} أي: يصلون. وقيل: سبب نزول هذه الآية: أن كفار مكة قالوا: أنسجد لما تأمرنا؟ فنزلت هذه الآية، تخبر أن الملائكة، وهم أكبر شأنًا منكم لا يتكبرون عن عبادة الله. وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {إِذَا * لِيَذِينَ تَبِعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَّرَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَّرْنَا وَمَا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}.